الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند ولحاج – البويرة –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

Ministre de l'enseignent supérieur
et des recherche scientifique
Université AKLI Mohand Oulhadj
– Bouira –
Faculté des lettres et des langues
Département langue arabe

تخصص: نقد ومناهج

الموضوع:

حضور المجتمع في النقد الأدبي الجزائري الحديث "نماذج معينة"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد:
محمد حاكم

إشراف:
د. إسماعيل جبارة

أعضاء لجنة المناقشة

..... رئيسا

..... مشرفا ومقررا

..... مناقشا

السنة الجامعية 2018-2019

إهداء

إلى

والديّ الكريميْن: أمي الحنون، وأبي العزيز

إخوتي: رابح، جمال، يوسف، والكتكوت الصغير موسى

جميع أساتذتي بكلية الآداب واللغات

أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل، وفي مقدمتهم أستاذي الجليل الدكتور إسماعيل جبارة، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، ورعاه بكل صدق وسعة صبر، فقرأ فصوله ومباحثه بصبر جميل، ونصحني بأمانة اللغة ، وقادني بتوجيهاته الرشيدة إلى جادة الصواب، وشجعني بشكل متواصل، فالله أسأل أن يجزيه عني الجزاء الأوفى على كل ما أسدى من نصح، وأنفق من وقت، وقوّم من عِوَج.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أخي يوسف على كتابته لبعض مباحث هذا العمل وملاحظاته وإضافاته القيّمة، وتصويباته اللغوية الدقيقة، بالإضافة الى توفيره لي للجانب المادي طيلة المسار الذي قطعه هذا البحث لكي أصل به في الأخير إلى نهايته.

مقدمة

مقدمة:

إن الإهتزاز الذي يُولده ويبعثه النقد فينا اتجاه القضايا و النظريات المسلم بها راجع الى اختلاطه بالفلسفة على وجه الخصوص، فهو دائما ما يستعين في عمليته النقدية ببعض الشذرات الفلسفية المبثوثة في كتابات الفلاسفة الكبار لمواجهة هذه المسلمات المعمول بها ، ودحضها والانطلاق في بناء نظريات ومعارف جديدة انطلاقا من مخلفاتها القديمة.

ومن هذ ه الفكرة تولد الدافع الأساس لهذهالدارسة، التي تضع بين يدي فحص حضور المجتمع من خلال مسائلة الأعمال النقدية في حد ذاتها وسبر أغوارها الاجتماعية، في محاولة مني للخروج عن المألوف ومخالفة الدراسات السابقة التي كانت تحاول اكتشاف صورة المجتمع من الأعمال الأدبية، وهذا ما سعيت الى تجاوزه هنا من خلال القيام بمحاولة لاستخراج حضور المجتمع بدراسة بعض النماذج النقدية التي كانت تتابع الأعمال الإبداعية الجزائرية بالتمحيص والنقد، خصوصا بعد تطور النقد الاجتماعي واكتسابه لأدوات إجرائية يتخذها للولوج الى داخل الأعمال الإبداعية والبحث في اجتماعيتها، كنظرية الانعكاس في صيغتها الماركسية والواقعية والواقعية الاشتراكية حيث أصبحت هذه النظريات متداولة على ألسنة النقاد وكتابات الدارسين.

وهذا لا ينفي اجتماعية الأعمال الإبداعية في جانب من جوانبها طبعا، ولكن لابدّ للنقد أن يسايرها لتأصيلها وبيان الأسس الصحيحة لتمظهرات الحياة الاجتماعية التي تمثلها هذه الأعمال الإبداعية لتحقيق رؤية اكثر تبصرا وتنويرا لهذه الرؤية الشاملة من خلال القراءة النقدية.

وهذه المحاولة المتواضعة التي قمت بها تعمل على تعبيد الطريق لأبحاث أخرى تتناول العلاقة بين النقد والواقع الاجتماعي في نوع آخر من الدراسة يختص بالبحث في سوسيولوجيا التجربة

النقدية التي تقيم فرضياتها وتبحث عن الأساسات الواقعية للاتجاه الاجتماعي من خلال فحص المدونات النقدية.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع وخوض غمار البحث فيه، هو ما رأيته من عزوف الباحثين في الفترة الأخيرة على الانغماس كليا في بحوثهم وراء الاشتغال في الجانب البنيوي اللغوي الشكلي الذي يقطع الصلة بكل ما هو خارجي، وذلك رغم أن العمل الإبداعي ومن ورائه العمل النقدي يبقى شديد الوصال بالبيئة والظروف الاجتماعية التي أنتجته وأثرت فيه ودعته الى أن يكتب ما يكتب وهذا ما وقع فيه أغلب الباحثين في الفترة الأخيرة، حيث أغفل جُلّهم الجانب السياقي في تدارس الاعمال الإبداعية ونقدها.

كما أنّني وجدت من خلال بعض المطالعات أن المادة الأدبية لا يستطيع المبدع فيها أن يتحرر من الذاتية وا لآراء الفردية تماما في معالجة الواقع الاجتماعي وطرح هـ لقضاياه، ولاسيّما اذا أخذنا في الاعتبار الأفكار الأيديولوجية وتأثيرها على المبدع ؛ فالعملية الإبداعية دائما ما تُدرج في دائرة الفن، فهي فن كله والفن دائما ما يكون تشويه الحقيقة فيه داعيا من دواعي الاعجاب خلافا للمادة النقدية التي تدرج في دائرة العلم. وعليه أطرح مجموعة من التساؤلات:

1 . ما جذور وأصول علم الاجتماع وما هو حجم الدين الذي يدين به النقد الاجتماعي لهذا العلم؟.

2 . ما هي ظروف نشأة وتطور النقد الاجتماعي؟.

3 . كيف تجلى حضور المجتمع من خلال بعض الدراسات النقدية التي عالجناها؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت بحثي الى فصلين وخاتمة تسبقهما مقدمة، أما الفصل الأول فهو نظري بعنوان: تحديد المفاهيم يندرج تحته مبحثان في المبحث الأول تعرضت الى

جذور علم الاجتماع وكيفية تحرره من المفاهيم الفلسفية التي كانت عالقة فيه بفعل مختلف الشوائب التي كانت تطرحها النظريات الفلسفية على مرّ العصور الى غاية وصوله الى الوضعية في معالجته وطرحه لمختلف الظواهر الاجتماعية، ثم انتقلت الى تبيين كيفية تحول هذا العلم في مرحلته الأخيرة لدراسة الظاهرة الإبداعية من منطلق أنها ظاهرة اجتماعية مما أدى بالنقد الاجتماعي بعد ذلك أن يكتسب بعض الإجراءات الوضعية التي تُخوّل له معالجة ونقد الظاهرة الأدبية في اجتماعيتها عن طريق استثمار المبادئ الوضعية التي جاء بها هذا العلم.

وكان لزاما عليّ بعد ذلك ما دمت قد تطرقت الى النقد الاجتماعي أن أُعرج في المبحث الثاني على هذا التخصص والمسار الذي قطعة في سبيل اكتماله واكتسابه لأدوات إجرائية مميّزة في نقده للظاهرة الإبداعية في جانبها الاجتماعي الذي تضطلع به.

الفصل الثاني المعنون بـ: المجتمع في التجربة النقدية، حاولت أن أستخرج فيه بعض الملامح االتي تعكس صورة المجتمع الجزائري من خلال نماذج نقدية معينة تشمل ثلاثة أجناس أدبية (الشعر – المسرح – الرواية)، وذلك عن طريق النّفاذ الى القراءات النقدية واتخاذها كمرآة لأجل تمثُّل بعض الجوانب التي تبرز المجتمع الجزائري، لتأتي الخاتمة كحوصلة شاملة عرضت فيها لمجموعة من النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث.

وقد واجهتني مجموعة من الصعوبات أخص بالذكر منها أهمها ولعلّها هي الأهم على الاطلاق والتي تعترض سبيل أي باحث يخوض غمارا في هذا الميدان، وهي أ ن هذا المجال من التخصص أي "نقد النقد" لابد أن يحتاج من الباحث الى سعة اطلاع واسعة تتعدى المدونة النقدية المُخصصة للدراسة الى الاطلاع على المادة الأدبية الأ ولى التي تناولها هذا النقد ، وهذا ما شكل لي عائقا كبيرا في هذه المحاولة المتواضعة التي قمت بها في سبيل انشاء هذا البحث.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، ثم إنني ركزت على مجموعة من المدونات النقدية المتمثلة في:

1 – زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر . دراسة نقدية.

2 – مخلوف بوكروح: دراسة في سوسيولوجية المصرح و مصادره.

3 – مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية.

وإن كانت هناك دراسات نقدية أخرى حاولت أن تبرز الاتجاه الاجتماعي حيث نجد في التجربة النقدية الروائية كل من محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، وواسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، وفي التجربة النقدية الشعرية نجد مثلا دراسة عبد الله ركيبي: الشعر... في زمن الحرية (دراسات أدبية ونقدية)، وفي المسرح نجد مثلا دراسة أحمد ثليلاني: الثورة الجزائرية في المسرح العربي وغيرها .... إلا أنني رأيت أن تلك الدراسات قد تداولت بين الدارسين بكثرة، من هنا ارتأيت التنويع في هذه الدراسة من خلال البحث في مدونات نقدية تعرض لقراءات نقدية أخرى لتكون بذلك توسيعا وإثراء لهذا الميدان، وإذا كنت قد ذكرت هؤلاء النقاد، فلا ينبغي أن أَمرَّ هكذا بدون أن أذكر الناقد الجزائري "أحمد حيدوش" صاحب الطريقة الإختزالية في طرح المفاهيم النقدية والتعبير عنها بلغة الأشكال الهندسية.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

المبحث الأول: علم الاجتماع النشأة والتطور:

1 . الجذور

2 . النشأة والتطور

المبحث الثاني: النقد الاجتماعي (المسار الفلسفي):

1 – الجذور

2 – النشأة والتطور

ا – علم الاجتماع: النشأة والتطور

1 . الجذور:

لاشك أن من طبيعة أي علم من العلوم إلا وأن ينطوي تحت خلفية فلسفية، تتيح له أن يكتسب زاده ويكتمل عوده، لكي يتطور عبرها ثم إذا بلغ أشده انفصل بنفسه و أصبح علما مستقلا له مبادئه وميادينه ومواضيعه التي يبحث فيها ، فـ« الفلسفة تمثل طفولة الذهن، وأي ثقافة تحاول أن تتجاوزها لن تبلغ مبلغ النضج أبدا.»[1]، فكانت بذلك الفلسفة تمثل الخلفية والمرجعية التي تضرم تحت طياتها الشرارة الأولى لانبعاث كل العلوم وتشكل اللبنة والحجر الأساس فيها.

وهذا هو شأن علم الاجتماع فـ«قد نشأ كغيره من فروع المعرفة الإنسانية بين أحضان الفلسفة، وظلّ الفلاسفة يشيرون الى ظواهره وموضوعاتهم من خلال تناولهم لقضاياهم الفلسفية وبقي هذا شأنه حتى اكتمل عوده، ووصل الى مرتبة العلم المستقل له مجالاته الخاصة التي يبحث فيها، وقوانينه الدقيقة كغيره من العلوم ؛ ومناهج دراسة علمية صحي حة قائمة على الملاحظة والتجربة ووضع الفروض ومحاولة إختبارها، واستطاع العلماء المحدثون الوصول الى نتائج وقوانين أمكن صوغها في صور كمية، بل ومعادلات رياضية، ورسوم بيانية تعبر عن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج.»[2]، ولكن قبل أن يصل الى هذه المرتبة التي مكنته من حجز هذه المكانة بين مختلف العلوم التخصصية؛ واكتساب الصفة العلمية في دراسة مختلف الظواهر بالإستعانة بالمبادئ العلمية في عملية صياغتي أقرب الى العلم منها الى الفلسفة قطع مسارا طويلا.

لهذا «يتعيّن بادئ ذي بدء، أن نُنوه الى عدم الخلط بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية في علم الاجتماع، فموضوع الفلسفة الاجتماعية أقدم بكثير من علم الاجتماع إذ ما كانت الحياة تدبُ

[1] ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي –(مدرسة فرانكفورت، الوجودية، مابعد البنيوية) – تر: محمد عناني، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2016، ص: 203.

[2] أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، بدون طبعة، رقم الإيداع 2097/ 1983، ص: 06.

على الكرة الأرضية حتى أخذ الانسان يفكر في أحوال المعيشة وفي علاقته بما يحيط به من فصائل حيوانية ونباتية وما يكتنف حياته من قوى الطبيعة»[1].

ويمكن القول إنه منذ ذلك الحين بدأ التفكير الاجتماعي يفرض نفسه على الساحة الاجتماعية، وبدأت تتشكل مختلف التفلسفات التي تعكس فكر الانسان في المجتمعات التي يعيش فيها، وأصبح يفكر في مختلف القوى التي تتحكم في هذه العمليات المؤثرة في الحياة الاجتماعية، ويحاول اكتشاف النظام الذي يحكمه، ومختلف المظاهر والأحوال التي تنظمه، وتتحكم في مختلف ظواهره،وصياغتها في أراء وتأملات فلسفية. «والمقصود هنا بمفهوم"الفلسفة" النظريات العامة والأفكار والتأملات الذاتية والآراء الشخصية التي تعبر عن إتجاه أصحابها أكثر مما تعبر عن حقائق الأمور، ويدخل في نطاق هذا المفهوم المحاولات النظرية التي تفسر ظواهر الكون والإنسان والمجتمع، بدون الرجوع الى القوانين التي تحكمها والوظائف الحقة التي تؤديها.»[2].

حيث كانت هذه المحاولات الأولى تتصف بمجموعة من المبادئ التي تجعلها تعبر عن اتجاه أيديولوجي نوعا ما خاضع لفكر معين، خاص بالفرد الذي ينتج هذه الأفكار ويُعفي الاتجاه الاجتماعي لأغلب الفئات الأخرى المشاركة لهذا الفرد في صياغة هذه التأملات والطروحات التي تفسر حالة الاجتماع العام. ومن هنا أمكن لنا أن نميز بين ثلاث محطات هامة مر بها تطور هذا العلم حتى وصل الى مرحلته الوضعية الأخيرة في طرحه ومعالجته لمختلف الظواهر الاجتماعية.

أ . العصر الاغريقي:

لعل أبرز فلسفة في تاريخ الفكر الاجتماعي الغربي والتي اكتسبت شهرة واسعة هي فلسفة أفلاطون وإمبراطوريته المثالية التي لم يسعفه الحظ في تحقيقها على أرض الواقع ؛ «حيث كان يرمي الى تقرير الأصول ووضع التخطيط الأمثل لقيام جمهورية مثالية أو مدينة فاضلة تنتفي كل الشرور والآثام التي تزخر بها المجتمعات المعروفة لعهده، مدينة فا ضرلة تقوم على الفضيلة وتظلها العدالة وتشرف عليها حكومة الفلاسفة ... غير أن أفلاطون مزج بين الخيال والواقع مطبقا نظريته

[1] حسين عبد الحميد رشوان: الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات الرظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط 4، 2011، ص: 01.

[2] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني – يوليه – اغسطس – سبتمبر – 1971، ص: 85.

في المثل على القوى الاجتماعية ومستخدما أسلوبه في التخيل الفلسفي والق صصي فجانبه التوفيق فيما أراده.»[1].

لتكون بذلك هذه البذرة أول محاولة لدراسة التنظيم الأمثل للحياة الاجتماعية، وتأسيس دولة مثالية يحكمها الفلاسفة، ويسودها الأمن والاستقرار في النظام الاجتماعي الذي يحكمها.

فذاع صيت هذه الدولة المثالية، واتخذت منها مختلف الدراسات الاجتماعية التي جاءت من بعدها أصلا تغرف منه، وتؤسس لنظرياتها الاجتماعية الفلسفية، وظلت أطياف هذه الجمهورية تشدُّ اليها الفلاسفة وتلاحقهم في مختلف الدراسات الاجتماعية التي أقاموها، إلا أن هذه المدينة التي حاول أفلاطون أن يقيمها في ذلك المجتمع وفي تلك الفترة هي في أصلها محاولة فلسفية تستند الى الخيال أكثر مما تستند الى الحقيقة العلمية الموضوعية ، حيث «يصف مؤرخ الفلسفة الكبير "تسل" مدينة أفلاطون المثلى كما رسمها في محاورة الجمهورية بأنها عمل فني فحسب لا يصمد أمام تنوع الحياة الواقعية ومرونتها، ومن الجائز بالفعل أن هذه المدينة المثلى كانت تبتعد عن الواقع الى حد يتوهم المرء معه بأنها وليدة الخيال الفني عند خالقها فحسب»[2].

ولعل هذا يبين طبيعة التصورات الميتافيزيقية لهذه الفلسفة الاجتماعية في دراستها لحالة الاجتماع العامة وفي طرحها لمجموعة المظاهر الاجتماعية التي تمثل هذه المدينة وطبيعة القوانين والتأملات التي تحكمها.

ب . العصر الوسيط:

وقد سيطر هذا التفسير الذي جاءت به الفلسفة الأفلاطونية مدة من الزمن على الفكر الاجتماعي، حيث أظلّت مختلف التأملات الاجتماعية التي جاءت من بعدها، الى غاية القرون الوسطى التي عصفت بالوسط الأوروبي حيث حقّق هذا العصر مجموعة من التحولات في طبيعة الفكر الاجتماعي أين حاول أنصاره ربط المجتمع بمرجعية دينية معينة، فارتبط الفكر الاجتماعي في هذا العصر بالكنيسة والتراث الديني الذي مثلته المسيحية. والذي تميز بسلطة دينية مثلتها سلطة البيوات والرهبان والقساوسة في العالم الغربي.

[1] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 86.

[2] أفلاطون: الجمهورية، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء . الإسكندرية، بدون طبعة، 2004، ص: 160.

حيث ابتدعوا رهبانية جديدة في هذا المجتمع. اصطبغ بموجبها الفكر الاجتماعي بمواصفات أخرى، وإن كانت في طبيعتها الأصلية بقيت متصلة في العمق بهذا الفكر الذي طرحته الفلسفة المثالية الأفلاطونية.

ونستطيع القول بأنها شكل آخر من أشكال التفكير المثالي، «فقدمت التاريخ على هيئة دراما، ببداية ونهاية حددتهما العناية الإلهية، ومراحل مرسومة بحوادث لها دلالات عليا. وأنتج هذا التوجه تفسيرا دينيا كلاسيكيا للتاريخ في مدينة الله للقديس أوغسطين امتد أثره لقرون، وتمثل في عدد من الكتاب المسيحيين»[1].

وانطلاقا من هذا كله سيطر على الفكر الاجتماعي في هذه الفترة حكم الكنيسة بقيادة البابا ، وأصبح كل شيء في هذه المجتمعات يخضع للقساوسة والرهبان , وأصبح عالم الوجود يُفسر بالإستناد على القوة الإلهية الموجودة في العالم الغيبي الذي لا يُرى، والذي هو على اتصال مباشر مع الكنيسة، فانتشرت في هذه المجتمعات أفكار تتماشى مع طبيعة هذا الحكم الذي تميزت به فترة الكنيسة، كالحرمان من الجنة الذي كانت تُصدره الكنيسة لكل من يتمرد عليها ؛ وتحفيز الشعوب للحروب بوعود الغفران التي يصدرها البابا، وانتشار ما يُعرف ببيع صكوك الغفران التي تحركت مع الفكرة التي بَشّر بها القساوسة بأن العالم سينتهي في فترة محددة ، وغيرها من الأفكار اللاهوتية التي كانت تميز الحالة الاجتماعية لذلك العصر.

هذا بصفة عامة طبيعة الفكر الاجتماعي الذي كان يسيطر على تلك المرحلة من حياة المجتمعات. ومن أبرز من ممثلي هذه المرحلة «هم اوغسطين الذي يمثل الفلسفة المسيحية في قرونها الأولى، والقديس توماس الأكويني الذي يمثل أوج الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى، وحنا كلفن الذي يمثل المسيحية المتطورة في عصر الإصلاح الديني، نجد دراسات هؤلاء وغيرهم تحمل صبغا فلسفيا في ثوب مسيحي خالص.»[2].

---

[1] عبد العزيز الدوري: فلسفة التاريخ، مجلة عالم الفكر المجلد الثاني – العدد الثاني ، يوليه – اغسطس – سبتمبر – 1971، ص: 60.

[2] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 86.

وكلها كانت تعالج المواضيع الاجتماعية المطروحة في ثوب فلسفي مسيحي، يتلاءم مع طبيعة الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه هذه المجتمعات في هذه الفترة السحيقة و الذي سيطر مدة من الزمن هو الآخر على حالة الاجتماع العام.

2 . النشأة والتطور

أ . عند ابن خلدون:

ووسط هذه الدراسات المختلفة في تناولها للاجتماع الإنساني التي سادت العصور الوسطى يطل علينا الفيلسوف العربي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون* في هذه المرحلة من الزمن ولكن بحلة عربية خالصة، استطاع من خلالها أن يلفت النظر في مقدمته الى نظرية جديدة لدراسة الاجتماع الإنساني، والذي استطاع بواسطتها أن ينفك بعلم الاجتماع عن هذه الدراسات الفلسفية من مراحلها السابقة، وأن يحدث قفزة نوعية في طبيعة هذا العلم وأدواته الإجرائية.

فكان من خلال ذلك أن غيّر كثيرا في ميدان الدراسات الإنسانية وفي مختلف اتجاهاتها لدراسة وتناول مختلف الظواهر الإنسانية في المجتمع؛ «صحيح أننا نجد اعتقادا بأن للطبيعة نظامها الضروري الذي يجعلها موضوعا مستقلا للعلم العقلي، إلا أن واضع المقدمة أدخل المجتمع أو(الاجتماع الإنساني) حسب مصطلحه في مجال العقلانية، وهو ما أدى به الى النظر الى المجتمع لا كوقائع مفردة، بل كنظام له منطقه الذاتي وبنياته الموضوعية فكان علمه العمران. »[1]. ولعل هذه الطريقة التفسيرية التي جاء بها ابن خلدون لدراسة الاجتماع الإنساني مُتميزة عن كل الدراسات الاجتماعية والفلسفية التي كانت قبله.

يقول قي مقدمته في الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر: «اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنّس والعصبيات وأصناف

[1]معن زيادة: المسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول، مكتبة مؤمن قريش، طبعة1، 1988، ص: 531.

* أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) <<Ibn khaldoun>> ولد بتونس في { غرة رمضان 732 هـ = 27 من مايو 1332 م } ، توفي سة 26 من رمضان 808 هـ = 16 من مارس 1405 م عن عمر بلغ ستة وسبعين عاما ، يعد ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع ، وتشهد مقدمته الشهيرة بريادته لهذا العلم ، فقد عالج فيها ما يطلق عليها الآن المظاهر الاجتماعية ، أو ما أطلق عليه هو " واقعات العمران البشري " أو " أحوال الاجتماع الإنساني " وقد كان ابن خلدون ، في بحوث مقدمته سابقا لعصره ، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الدين جاؤو من بعده مثل الايطالي "فيكو" والعلامة الفرنسي "أوجست كونت " .

التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنايع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من الأحوال، ولما كان الكذب متطرّفا للخبر بطبيعته وله الأسباب تقتضيه(فمنها) التشيّعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الإعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص»[1].

وكأن ابن خلدون بفلسفته في التاريخ إذ به يحاول التأسيس لعلم ينبثق من دراسة هذا التاريخ؛ والذي سماه علم العمران, وتكون مهمته تحقيق وتدقيق المسار التاريخي الذي كان قبله الى غاية وصوله اليه وإخراج الزيف والكذب فيه من الحقيقة.

وهذا واضح من خلال هذه الإشارات التي يطرحها هنا، حيث يشير الى أن حالة الاجتماع الإنساني التي كانت تفرضها طبيعة الحياة في العصور التي كانت قبله، وما احتوته من التعصبات والانتحالات والتفاوت على تمكين الملك كلها كانت عوامل مساعدة لأجل المباهاة والمغالاة في هذه النظريات التاريخية التي كانت قبله، والتي فرضتها طبيعة ذلك العصر، أما الآن فلابد من الاستقلال عن كل هذا الإرث التي خلفته لنا تلك النظريات، والتأسيس لمنهجية جديدة في دراسة المظاهر الحاضرة من عمر المجتمع، وهذا يقتضي علينا بالضرورة العودة الى تلك النظريات الاجتماعية القديمة ودراستها دراسة محايدة تستند على العقلانية في طرحها لمختلف الظواهر الاجتماعية.

ثم يقول للتكملة: «ثم إن هذه الأحوال التي ذكروا فيها كلها مستحيل عادة مناف للأمور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وأن المعادن غايته الموجود منها أن يصرف في الآنية والخرثى وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثير وتمحيصه إنما هو معرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقِها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها.»[2].

فابن خلدون يُلوّح هنا الى أنه يجب أن تكون غاية كلّ معرفة وعلم أن يهدف الى تفسير المجتمعات تفسيرا عقلانيا، يستند الى التحقيق في هذه الأفكار التي تطرحها مختلف المعارف

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الأول، تحقيق: أ.م.كاترمير، لبنان، بيروت، عن طبعة باريس سنة 1958، ص: 56 .

[2] المرجع نفسه، ص: 60.

والفلسفات، وإلا فما فائدتها في هذا الوجود وهي تفسر الحالة الاجتماعية. وكأنه بذلك يهاجم مختلف النظريات الفلسفية التي كانت سائدة قبله، والتي سيطرت على البشرية مدة من الزمن ليست بالقليلة، فكان أن أصبح لازم الوجود على هذا العلم الذي يدرس الطبيعة الاجتماعية من حيث وجودها، بالاستناد على خطوات علمية تعتمد على الملاحظة والدقة في طرحها لمختلف الأفكار التي تميز حالة الاجتماع العام.

فاستثمر بذلك ابن خلدون علم الاجتماع الإنساني الذي سماه علم العمران في دراسة وتصحيح الأخبار التي سبقت عصره، محاولا التأسيس لها وتصحيحها، وإعادة دراستها على أسس وقوانين يستند فيها الى العلمية [1]، ليستبعد بذلك كل التفسيرات الخرافية التي كانت تسيطر على مختلف التحولات الاجتماعية بدون وجود دلائل موضوعية تحكمها هذا من جهة، ثم من جهة أخرى تأسيس فلسفة نقدية تتبع هذه الفلسفة النظرية في التاريخ، «فالأولى هي التحليل الفلسفي لعلم التاريخ، أي تشخيص منطق ومفاهيم وأساليب عمل المؤرخين، والثاني محاولة اكتشاف معنى أو دلالة في طبيعة المسيرة التاريخية، تتجاوز الفهم الذي يوصل اليه العمل التاريخي الاعتيادي.»[2].

فهل نستطيع القول من خلال هذه التوضيحات في فلسفة التاريخ التي جاء بها ابن خلدون أنه استطاع أن يُؤسس لعلم جديد في دراسة التاريخ والذي أطلق عليه علم العمران، استطاع من خلاله أن يصحح المسار التاريخي الذي تميزت به العصور الميتافيزيقة واللاهوتية والتي كانت تَعتدُّ بسيطرة الأفكار والتأملات الماورائية التي تتخذها كحجة لتفسير مختلف الظواهر الحاصلة في تلك الفترة، والتي تتميز في أغلبها بالنظرة الأحادية للكون.

يقول ابن خلدون: «فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميّز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتدّ به وما لا يمكن أن يعرض له وإذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق والكذب بوجه برهانيّ لا مدخل للشك فيه.»[3].

---

[1] ينظر: معن زيادة: الموسوعة الفلسفية،المجلد الثاني، مكتبة مؤمن قريش، طبعة1، 1988، ص: 533 .

[2] عبد العزيز الدوري: فلسفة التاريخ، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 66 .

[3] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الأول، تحقيق: أ.م.كاترمير، مرجع سابق، ص: 61.

الشاهد من كل هذا أن ابن خلدون تمّرد إن صح التعبير على التفسير القديم الذي ساد المجتمع طيلة تلك الفترة الطويلة من الزمن في طرحه لمختلف التفسيرات الاجتماعية التي كانت تعتمد على الآراء والجوانب الفردية في هذا العرض؛ مما انتهى بها الأمر الى تفسير الوجود بآراء ميتافيزيقية لا تستند الى أي تجربة عقلية تحكمها لأجل غايات أخروية تتسم بالمثالية والتفكير الأسطوري الماورائي الذي لا يستطيع العقل إخضاعه للتجربة، نظرا لأنه يتتبعها مدة من الزمن ثم تغيب عنه في غيابات العوالم الماورائية.

لينفرد ابن خلدون عن سابقيه بتأسيس علم جديد يخالف كل هذه الدراسات القديمة في دراستها للإجتماع الإنساني، حيث يؤكد: «واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير»[1].

فلا ريب أن يكون ابن خلدون سقراط العرب، ذلك الفيلسوف الذي تمرد على التفكير السائد في العصر اليوناني، وحاول التأسيس لمنهجية فكرية خاصة به كانت سببا في الحكم عليه بالإعدام. «لقد صرّح سقراط، معلّم افلاطون، الذي يعتبر تقليديا، أعظم فيلسوف غربي، أن الحياة غير المختبرة فكريا لا تستحق أن تعاش. »[2]، فكان أن جاء ابن خلدون بفترة طويلة من الزمن، ليؤسس لهذا العلم الذي لا يكتفي بالنقل، وإنما لابد عليه أن يختبر الحياة الفكرية، فأسس لعلم يدرس ظواهر الاجتماع الإنساني بالاعتماد على القوانين العلمية، سماه علم العمران؛ واضعا بصمته الخاصة على هذا العلم، متميزا بفلسفته في التاريخ عن سائر الفلسفات التي سبقته، ولن نبالغ إذا قلنا بأنه أكبر إشعاع انبثق منه التأسيس الفعلي لهذا العلم في أوربا فيما بعد.

فهذا غاستون بوتول أحد علماء الاجتماع في أوروبا يُنوّه بالمجهودات التي بذلها واضع المقدمة في سبيل ميلاد هذا العلم حيث يقول: «إنّ بين نظرية ابن خلدون وبين النظرية التي ستعين لعلم الاجتماع ما يثير العجب ...!»[3].

---

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الأول، مرجع سابق، ص: 62 .

[2] نايجل رود جرز – ميل ثومبثون – جنون الفلاسفة، تر: متيم الضايع، دار الحوار سورية، اللاذقية، ط 1، 2015، ص: 11.

[3] حسين جمعة: طه حسين، القامة والظل، دار بن هاني، سورية، طبعة 1، ص: 103.

إلا أنه مع كل هذه التطورات الذي أحدثها هذا العلم في ميدان الأبحاث الإنسانية، إلا أن هذه الأبحاث لم تستثمر في أوانها في تلك الفترة وبعدها بقليل، إذ كانت الدراسات شديدة التأثر بالفلسفات المثالية، وهو ما تمثل في عودة الدراسات الاجتماعية الى حضن الفلسفات القديمة؛«حيث لم يكن عصر النهضة مختلفا كثيرا، إذ احتفظ الفن الديني بسيادته في أوروبا، برغم محاولات بعضهم التخلص من تأثيره فاندمجت روح الزهد والتصوف المسيحي بمثالية أفلاطون وأرسطو...لنجد الأدباء والفنانين والكتاب يخضعون لمواصفات الدين والفلسفة الخلقية في العهدين الكلاسيكي والرومانتيكي معا، حتى قيام ثورة الفنانين الغربيين في القرن التاسع عشر ومناداتهم بنظرية الفن للفن»[1]، هذه النظرية التي كان لها دور كبير في سبيل تغيير مسيرة الفن وتحرره من مختلف الفلسفات والتأملات الكونية.

ب . العصر الحديث:

وكانت التحولات التي شهدتها أوروبا وخصوصا الثورة الفرنسية قد لعبت دورا بارزا في عودة بروز هذا العلم الى الوجود، وكان ذلك مع الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت" August Comete(1798 1857)، «حيث نحت له هذا الاسم "علم الاجتماع" *، وقد كانت هذه النشأة الغربية مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري في ذلك الوقت.»[2].

والذي حاول من خلاله البحث في تلك «الفكرة القائلة بأن الظواهر الاجتماعية كالظواهر الطبيعية يمكن النزول بها الى قوانين وعلم وإن الفلسفة كلها يجب أن تركز جهودها في إصلاح النوع البشري.»[3].

---

[1]صالح هويدي: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى، دمشق سوريا، ط1 ، 1436هـ 2015م ، ص: 66.

* Sociologieهذا المصطلح مكون من مقطعين: أولهما Societas وهي كلمة لاتينية معناها الجماعة. وثانيهما Logos وهي كلمة معناها علم أو بحث.

[2]غاستون بوتول: تاريخ علم الاجتماع، تر: غنيم عبدون، مر: د. جلال حسن صادق، مطابع دار القومية للطباعة والنشر، بدون طبعة، ص: 24.

[3]و ل ديوزانت: – قصة الفلسفة – تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط 6، 1408 هـ 1988م، ص: 481 .

لقد أحدثت الثورة الفرنسية تغيرات كبيرة على كل المستويات وأنتجت مجموعة من الأفكار التي ساهمت في نشأة فرنسا الحديثة على ما هي عليه اليوم، فإذا كانت فكرة القومية، وفكرة فصل الدين عن الدولة من أهم الأفكار التي انبثقت من الجانب السياسي، فإنه على مستوى الساحة الثقافية والأدبية قد سطعت سلطة العقل فوق كل اعتبار وبقوة على الساحة الفكرية؛ نادت من خلالها بضرورة تحكيم العقل في كل المجالات المعرفية.

ومن هنا كانت طبيعة هذه التحولات ملائمة لنشأة هذا العلم الذي استطاع أن يقف أمام المد اللاهوتي الميتافيزيقي، وأن يحمل لواء إعادة تنظيم الحياة الفكرية، «فقد حمل كتاب الرجل الذي أدخل تسمية علم الاجتماع خارطة العلوم، وأعني به أوجست كونت، عنوانا هو "دروس في الفلسفة الوضعية"، وشيئا فشيئا تكونت بعد ذلك بعض التقنيات التجريبية التي ساعدت في إبراز بعض الحيثيات الاجتماعية من ثنايا العلم الطبيعي خلال القرن الثامن عشر وذلك على غرار ما أبرزه النظام التجاري»[1].

فالتطورات الصناعية والتجارية التي خلفتها الثورة الفرنسية ساعدت على ظهور القوانين الكمية والعددية بالإضافة الى القوانين الإحصائية التي كانت تحكم مختلف العلاقات الإنتاجية وتطور مختلف المجالات الاقتصادية؛ وقد حاول أوجست كونت استثمار كل هذه التطورات الحاصلة ونقلها من الميدان الصناعي والتجاري الى ميدان دراسة الظواهر الاجتماعية.

ليُدخل بذلك أوجست كونت ميدان علم الاجتماع الذي طالما بقي بعيدا عن الدراسة الوضعية الى الفكر الذي يتميز بالعقلانية والعلمية، «وينقسم علم الاجتماع عند أوجست كونت الى قسمين رئيسيين: الإستاتيك الاجتماعي lastatique . أي ثبات المجتمع واستقراره، والديناميك الاجتماعي dynamique أي تطور المجتمع وتقدمه، أو كما يسميه السوسيولوجيون في وقتنا المعاصر البناء structure والتغير change »[2].

حيث يدرس من خلال الإستاتيكا؛ الوضعية الاجتماعية لمجتمع ما خلال مرحلة ثابتة لاستخلاص طبيعة الفكر الاجتماعي المميز لذلك الواقع، أما من خلال الديناميكا فهو يدرس تغير

[1] تيودور فون أدرنو: محاضرات في علم الاجتماع، تر: جورج كتورة، لبنان – بيروت، بدون طبعة، ص: 13.
[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 105.

الفكر الاجتماعي خلال مراحله المتطورة، لأجل تقسيمه الى مراحل تختلف باختلاف طبيعة ذلك الفكر المميز لكل مرحلة.

وهنا يظهر الاختلاف والإضافة التي أضافها أوجست كونت من خلال الدراسة الاجتماعية التي تضمنها العلم الذي جاء به، ويبدو أن كونت كان يركز في دراسته للمجتمع على الجانب التطوري،«فالجزء الرئيسي حسب اعتراف كونت نفسه، هو علم الاجتماع التطوري، فهو عندما جعل التاريخ الأداة المميزة للمنهج الاجتماعي، وعندما بين أن الظاهرة الاجتماعية بمعناها الحقيقي هي انتقال التقاليد من جيل الى جيل، وعندما إعتبر أخيرا أن العلم الجديد قد نشأ منذ اليوم الذي كشف فيه عن قانون الحالات الثلاث، فقد اختار فعلا أن ينظر الى الأشياء من وجهة النظر التطورية، ولكنه بعد أن أثبت وجود قوانين خاصة بالتطور للظواهر الاجتماعية، استنتج بالضرورة أن هذه الظواهر لابد أن تكون خاضعة أيضا لقوانين خاصة بالاستقرار.»[1].

فهذه الطبيعة التطورية التي اكتشفها أوجست كونت لطبيعة المعرفة التي تميز كل مرحلة من مراحل سير الاجتماع العام في فتراته المختلفة، قد ساعدته هي الأخرى على تحديد الطبيعة المميزة للمجتمع في كل فترة من فترات هذا التطور، الذي أتاح له التعرف على مختلف الظواهر التي تحكم الاجتماع الانساني المميز لكل مرحلة. «إذن مفهوم العلوم الاجتماعية بالمعنى الحصري للكلمة كان على الدوام مفهوما استذكاريا مرتدا الى الماضي. »[2]، وذلك عن طريق تحليل ودراسة الطبيعة الفكرية لكل مرحلة من المراحل، ليضيف بذلك شيئا جديدا يجعله متميزا عن سلفه ابن خلدون الذي استعمل هو الأخر هذا العلم في تحقيق وتصحيح التاريخ الذي كان قبله، لكن "أوجست كونت" تجاوزه نوعا ما بفضل ثنائيته (lastatique ، dynamique) التي نظمت مسار الدراسة الاجتماعية نوعا ما.

إلا أنه مع كل هذا الانعطاف الذي شكله هذا العلم الوضعي في مسار الدراسات الاجتماعية، لابد أن نشير الى أنه في تأسيسه لهذا العلم "علم الاجتماع" لم يستثمر المبادئ الوضعية التي جاء بها علمه الجديد في تخصص دراسة الظواهر الاجتماعية، حيث أننا لا نجد دراسات مشهورة

[1] ليفي بريل: فلسفة أوجست كونت، تر: د. محمود قاسم، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو مصرية، بدون طبعة، ص: 243-244.

[2] تيودور فون أدورنو: محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 16.

للظواهر الاجتماعية تحمل اسمه مقارنة مثلا بعالم الاجتماع إميل دوركايم، وربما هذا راجع الى أن أوجست كونت كان همه الوحيد هو إثبات هذا العلم وإبرازه الى الوجود.

فحتى وإن كان أوجست كونت هو المؤسس الفعلي لهذا العلم إلا أننا نكاد نجد اسم " دوركايم" يرتبط أكثر من غيره بهذا الحقل المعرفي، حيث ما إن يُطرح هذا العلم الى المناقشه حتى تجد اسمه يتردد على كل لسان خصوصا في مجال الدراسة الاجتماعية, وهذا راجع الى التوسع الكبير الذي أحدثه دوركايم في مجال دراسة الظواهر الاجتماعية.

ليترك بذلك التعمق في دراسة الظواهر الاجتماعية بشكل يجعلها تنحو نحو التخصص اكثر فأكثر وتستقل بنفسها لتأسيس جهاز مفاهيمي علمي خاص بها الى المفكر الفرنسي "اميل دوركايم" Emile Durkheim (1858 1918) ليتكفل بإبرازه الى الوجود كعلم مكتمل النشأة، وذلك من خلال مختلف الدراسات التي قام بها؛ على إثر تناوله لمجموعة من الظواهر الاجتماعية بالدراسة والتحليل عن طريق استثمار مجموعة من المبادئ العلمية التي تضمن له صحة النتائج التي يتوصل اليها، والتي ساهمت الى حد كبير في التأصيل لهذا العلم، «وما كان لهذه الدراسات فيما هو واضح، أن تضل في فكره أمرا نظريا، إذ كان أمله العظيم أن يصل بها الى نتائج عملية، فيزود العمل الاجتماعي من ذلك بالتوجيه والإرشاد، ولم يكن أمامه من سبيل للوصول الى هذا الهدف، غير طريق العلم الوضعي.»[1].

فسار بذلك دوركايم بهذه الفلسفة الوضعية نحوى التخصص العلمي، كما أنه حاول توسيعها لتشمل مختلف الظواهر الاجتماعية، ويعتبر من أهم الباحثين في علم الاجتماع الذين حاولوا دراسة الظواهر الاجتماعية بالاستناد على قوانين العلم الوضعي الذي جاء به أوجست كونت.

يعرف دوركايم الظواهر الاجتماعية بقوله: «هي كل ضرب من السلوك الجمعي ثابتا كان أم كان غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم في المجتمع، بأسره، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصورة التي يتشكل بها في الحالات الفردية.»[2]،

---

[1] إيميل دوركايم: علم الاجتماع والفلسفة، تر: د. حسن أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 1، 1966، ص: 08.

[2] إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر: د : محمود قاسم، مرا: د. السّيد محمّد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950، ص:47 .

انطلاقا من هذا التعريف الذي خص به الظواهر الاجتماعية؛ يمكن القول بأنه أصبح كل تصرف يتحقق في الجماعة سواء أكان إيجابيا أو سلبيا, يدخل في ميدان دراسة الظواهر الاجتماعية الذي يتعرض لها هذا العلم بالدراسة.

وبهذا يكون دوركايم قد فتح المجال التخصصي لهذا العلم على دراسة مختلف الظواهر المطروحة في المجتمع سواء كانت مركزية أو هامشية، «فليست ثمة دراسات كثيرة تناولت المهمشين ووضعياتهم في المجتمع مقارنة بالمركز اللّهم إلا أبحاث علم الاجتماع التي تناولت التهميش الاجتماعي. »[1]؛ وهذه نقطة مهمة اكتسب بموجبها علم الاجتماع ومن بعده النقد الاجتماعي الشهرة في تناوله لمادته الدراسية؛ كما اكتسب الشرعية اللازمة التي تُخوّل له التربع على عرش مختلف العلوم، لأنه استطاع بطريقة مميزة أن يتناول بالدراسة والتحليل الآداب الهامشية في المجتمع كظاهرة الإنتحار مثلا ودوافعها وأسبابها ونتائجها في المجتمعات، حيث استطاع الوصول الى نتائج مميزة في هذا الاتجاه تشهد له على ريادته في هذا العلم.

ولم يقف دوركايم عند هذا الحد؛ بل حاول أن ينحوا بدراسة علم الاجتماع نحو الظاهرة الأدبية، باعتبارها تندرج تحت ميدان الظواهر الاجتماعية، حيث أنه «وبعد أن استكمل دور كهايم ومدرسته دراسة مختلف نشاطات المجتمع، وبخاصة النظم الأساسية الدينية واللغوية والاقتصادية والسياسية والجمالية (الفنية)، وأدرك أنه نجح في تخليص هذه الدراسات من الاتجاهات غير العلمية وغير الوضعية، شغله موضوع هام كان بعيدا عن منال الدراسة الوضعية، وبالتالي بعيدا عن التفسير الاجتماعي ألا وهو"المعرفة الإنسانية" وبدا له الى أي مدى يمكن تطويع هذا النشاط الإنساني للمنهج الاجتماعي»[2].

وفي هذه المرحلة نجده بدأ يوجه هذا العلم الوضعي ناحية دراسة مختلف الانتاجات الأدبية وإدخالها الى ميدان الظواهر الاجتماعية، وتخليصها من الفكر الغير عقلاني كالفكر الفلسفي الأفلاطوني مثلا الذي يعتبر الشاعر ما هو إلا كائن بشري كرّمته الآلهة وخصته بقول الشعر، وهو في هذا لا يستند الى العالم الواقعي الحقيقي وإنما هوى يُحاكي العالم الواقعي الذي بدوره هو محاكاة

[1] هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص: 08 .

[2] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 94.

لعالم المثل. وبدأ يفكر في إدخال مجال "المعرفة الإنسانية" الى ميدان الظواهر الاجتماعية وتخليصها من هذه التصورات التي مازال البعض يعتبرها أنها صحيحة لاغرو فيها؛ وذلك لأنها أصبحت قاسرة وغير مقنعة للأخذ بها في مختلف الدراسات الاجتماعية، «فأصبح الأدب ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، ولذلك ينبغي أن نلتفت الى أهمية تطبيق مناهج علم الاجتماع الأدبي لدراسة الظواهر الاجتماعية »[1]؛ واعتبار هذه المعرفة أولا وقبل كل شيء أنها معرفة تنتج في المجتمع وتحت تأثير الواقع الاجتماعي.

من هنا كان «إصرار علماء الاجتماع على الخوض في كل شيء في الحياة، كما سبقت الايماءة الى ذلك، أفضى الى كلفهم بالظاهرة الأدبيّة تحت وطأّة النّزعة التاريخيّة الاجتماعيّة التي كانت تعتقد بتأثير المجتمع في الكتابة الأدبيّة »[2]، فكان من نتيجة هذا الطرح بداية البحث في المدى والتأثير الذي يحدثه المجتمع على الكتابة الأدبية، والتي تصبح بموجبه تعبير عن ظاهرة اجتماعية معينة، وواقع اجتماعي تنتمي اليه وتعبر عن وعي الجماعة التي ينتمي اليها الفرد المبدع أكثر مما تعبر عن رؤية فردية يطرحها الفرد في المجتمع.

وقد وقف دوركايم أمام هذه النقطة «فدرس المعرفة الإنسانية وحللها في ضوء منهجه الاجتماعي، وانتهى من تحليله الى نظرية خطيرة ملخصها أن الحياة العقلية ومبادئ الفكر ترجع الى أصول اجتماعية وهي من نتاج العقل الجمعي ومن خلقه»[3]، بهذه النظرة فإن الفرد المبدع أثناء كتاباته يختزل وعي الجماعة التي يُمثلها ليمنحه بُعدا اجتماعيا يعبر به عن هذا المجتمع؛ وتصبح الكتابة كذلك بدورها فعل جماعي في أصلها حاملة لوضع اجتماعي معين.

وقد وصل «دوركايم الى هذه النظرية بعد دراسة وصفية تحليلية للأشكال الأولى للحياة الدينية، بل لعل هذه النظرية هي النتيجة التي كان يهدف اليها من كتابه الأشكال الأولى للحياة

[1] السيد يسين: التحليل الاجتماعي للأدب، القاهرة، ط 3، ص: 45 .

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، طبع في 2010، ص: 115.

[3] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 94.

الدينية»[1]، حيث «أن الخلاصة العامة لهذا الكتاب هي أن الدين قضية جد اجتماعية فالتصورات الدينية هي تصورات جماعية تعبر عن وقائع جماعية.»[2].

وفي الحقيقة هذه النتيجة التي انتهى اليها دوركايم قد خَصوها الدارسون من قبله بمجموعة من الدراسات والبحوث، وصلوا بموجبها الى أن الدين يعتبر أكبر مؤثر في المجتمعات التي تتخذه كتعبير يُميز الانتماء الذي تتصف به هذه الجماعة، كما يُعتبر أكبر جانب يميز التفسير الاجتماعي الذي يطغى على مجتمع ما في الرؤية التي يُكوّنها حول مختلف الظواهر الاجتماعية.

فالدين يعتبر أكبر مؤثر في صياغة المعرفة الإنسانية على اختلافها لما له من تأثير في الوعي الفردي، بالإضافة الى أننا دائما ما نجد الفكر الديني يختزل الوعي الجماعي في الواقع الاجتماعي لمجتمع ما، في فترة من فتراته وهنا تبرز الإضافة التي طرحها الفكر الوضعي مع عالم الاجتماع دوركهايم في مختلف دراساته؛ ولاسيما المجال الذي حاول إدخال فيه هذه المعرفة الإنسانية الى ميادين الدراسة العلمية في علم الاجتماع.

ويمكن بذلك اعتبار دراسته من الدراسات التي ساهمت في التأصيل لميدان البحث في اجتماعية الظاهرة الأدبية، هذا الميدان الذي «يدين لعلم الاجتماع قدر دينه للنقد الأدبي، لا في نطاق الكشوف والقضايا والأسس المنهجية التي حددت ملامحه(فقد كان ذلك همّ الذين استقصوا تفاصيل العلاقة بين الأدب والمجتمع من نقاد الادب ودارسيه، ومن الذين حاولوا البرهنة على استقلالية الأدب والتعامل مع بنياته وأنساقه المكونة) بل في مجال التحديد العلمي والاهتمام بالجانب المعياري والتجريبي في رسم أسس هذا المنهج وقواعده، فقد أتى علم الاجتماع الى هذا الجانب من البحث المنهجي بالشيء الكثير»[3].

بمعنى أن هذا التخصص قد استفاد من الطريقة الوضعية التي جاء بها علم الاجتماع بصفة عامة في طرحه ومعالجته للقضايا الاجتماعية بالاستعانة بالمبادئ الوضعية، وإن كان يشتغل في حقله التخصصي على مبادئ وأفكار خاصة به؛ الا أنها شديدة الارتباط بهذا العلم العام، ويمكن

---

[1] مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 94.

[2] معين زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص: 889.

[3] صريوي حافظ : الأدب والمجتمع، مجلة فصول، المجلد 1 . العدد 2 . يناير م1981 . ربيع أول 1401 هـ ص: – 72– 73.

أن نوضح ذلك بالقول أن علم الاجتماع يعتبر كفرع عام يندرج تحته مجموعة من التخصصات من هذه التخصصات ميدان علم اجتماع الأدب.

II – النقد الاجتماعي (المسار الفلسفي)

1 – الجذور:

لما كانت من طبيعة أي تخصص من التخصصات أن لا يظهر الى الوجود إلا بعد أن يبني أصوله ومبادئه على معارف وتصورات قبلية مبثوثة في الكتابات الفلسفية التي كانت قبله، تتيح له أن يضيء مساره التخصصي، فقد كان هذا هو شأن النقد الاجتماعي الذي مر في نشأته بمجموعة من المراحل يمكن اعتبارها بمثابة البذرة التي شكلته فيما بعد كتخصص قائم بذاته.

أ . عند الاغريق:

إن أقدم تصور ضارب في التاريخ يمكن أن يؤرخ لبداية العلاقة بين الأدب والواقع كان مع الفلسفة الأفلاطونية، وبالضبط مع المصطلح النقدي الذي اشتهرت به فلسفة وهو المحاكاة.

فحتى وإن كان أفلاطون يرى أن هذه المحاكاة للواقع هي عملية لا تجسد الكمال التام له، نظرا لأن هذا الواقع هو بدوره محاكاة لعالم مثالي موجود في عالم ما وراء الطبيعة Métha– Physique، وهو العالم الذي يتصف بالكمال في ن ظر أفلاطون، والذي تكون المحاكاة عنده انطلاقا من فلسفته هذه تقليد التقليد، أي محاكاة العالم الهجين الظاهر للعين فقط.

إلا أنه يبقى له الفضل في توجيه الفن نحو تجسيد الواقعية ، لأن هذا مرتبط بالطبيعة التي تتصف بها المحاكاة، حيث «تطلق المحاكاة بوجه عام على التقليد والمشابهة في القول أو الفعل أو غيرهما ومنه قول أرسطو: الفن محاكاة الطبيعة، وتطلق المحاكاة بوجه خاص على ما يتصف به

الحيوان من التلون الدائم أو المؤقت بألوان البيئة التي يعيش فيها.»[1]، ومن هنا يظهر لنا الارتباط الذي شكلته هذه النظرية بالواقع والذي أصبح بموجبها الفن تقليدا لهذا الواقع.

ولسنا انطلاق من هذا في حاجة إلى الكثير من الجرأة لنقول: «إن المحاولات الأول الحثيثة للنقد الأدبي الاجتماعي قد ظهرت مع المفهوم الأفلاطوني الشهير المحاكاة mimesisi »[2].

وقد استلم أرسطو من بعد أفلاطون هذا المفهوم "المحاكاة"، إلا أنه عدّل فيه وأصبغه بصبغة فلسفية خاصة به، أصبح انطلاقا منها يُعبر عن رؤيته الفلسفية في الحياة.

وإذا كانت المحاكاة عند أفلاطون في الفن هي تمثيل غير مكتمل للواقع، فهي لا تتصف بالكمال في محاكاتها للأشياء الواقعية، نظرا لأنها لا تحاكي الشيء الحقيقي الموجود في الواقع بل تحاكي الأشياء المزيفة. والتي كان أفلاطون انطلاقا من هذه النقطة شديد الهجوم على المبدعين وبخاصة منهم الشعراء.

فإن «أرسطو يعد المحاكاة أعظم من الحقيقة ومن الواقع. والفنون عند أرسطو تحاكي الطبيعة، فتساعد على فهمها . فالفن . شأنه شأن النظم التهذيبية والتربوية يكمل ما لم تكمله الطبيعة. والفن يتمم ما تعجز الطبيعة عن إتمامه، لأنه في محاكاته يكشف عما كان ينقصها ، والفن يجاري الطبيعة، ويهدف الى أغراض، وله مناهج وفكرة يقصد من ورائها الى إكمال ما في الطبيعة

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بدون طبعة، بيروت، لبنان، 1982، ص:349.

[2] محمد حافظ دياب: *النقد الأدبي وعلم الاجتماع، مجلة فصول، المجلد 4، العدد 1، أكتوبر*، نوفمبر، ديسمبر، 1983، ص: 60.

بوسائلها. فالطبيعة فيها الحصان لخدمة الإنسان، والفن يصنع السرير أو البيت.»[1]. وبهذا تكتسب المحاكاة بُعدا مغايرا تماما للنظرة الأفلاطونية، حيث حدد لها أرسطو اتجاه تخصصي جعلها في منزلة أعلى من الواقع الذي تُجسده؛ عبر هذا التمثيل الذي تُحسّن من خلاله هذا الواقع، فهي لا تُصوره كما هو كائن بل كما يُمكن أن يكون، أي أنها تتعالى على هذا الواقع في تمثيلها إياه، ولعل أرسطو هنا يؤكد على أهمية هذه النظرية في إضفاء الواقعية التطورية على مختلف الظواهر الموجودة في الكون، ليمنحها بالتالي نظرة أكثر عمقا, تعمل على تجسيد هذا الواقع بالصورة الراقية التي يكون بها.

يقول: « الملحمة والمأساة، بل والملهاة والديثرمبوس، وجلّ صناعة العزف بالناي والقيثارة هي كلها أنواع من المحاكاة في مجموعها .»[2]؛ ولعل هذا يوضح جهود أرسطو لإنزال الفن من مرتبة الإلهام ووصله بالواقع ، وهذا ما حذا ببعض النقاد الى اعتباره المؤسس الأول للعلاقة بين الواقع والأدب في العالم الواقعي، في طبيعتها الواقعية؛ عكس أفلاطون الذي يعتبر المحاكاة إلهام من ربة الشّعر وهي محاكاة للطبيعة التي هي محاكاة لعالم المثل (محاكاة المحاكاة).

ب . عند ابن خلدون:

وفي خَضّم هذه النظريات الفلسفية الإغريقية التي ثُن ظّر لعلاقة الأدب بالواقع نجد الفيلسوف العربي بن خلدون هو الآخر ؛ يحاول أن يؤسس لعلاقة تجمع بين الواقع والأدب، ولعل فكرة ابن خلدون عن تطور المجتمعات من خلال ربطها بمراحل معينة لها أثر واضح على طبيعة

[1] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، أكتوبر، بدون طبعة، 1997، ص: 48.

[2] أرسطو طاليس: فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تر: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون طبعة، 1953، ص:59 – 60 .

هذه العلاقة، وهي تعتبر محاولة أصيلة لاستظهار جانب من جوانب التأثير المتبادل بين القلم والمجتمع. يقول في مقدمته في فصل التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول: «اعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره إلا أن الحاجة الى السيف في أول الدولة مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة الى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها ...و أما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الش ئ عن السيف لأنه قد تمّهد أمره ولم يبقى همّه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه... فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاها و أعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة و أقرب من السلطان مجلسا .»[1]. «في هذا المقتطف يربط ابن خلدون بو ضوح بين مكانة الأدب والكتابة ودورهما وبين مراحل تطور المجتمع بصورة تبدو فيها العلاقة لديه وكأنها علاقة وظيفية أكثر من كونها علاقة تنا ظر أو انعكاس، إذ يرى ابن خلدون . وهو عالم الاجتماع ذو البصيرة المرهفة والعقلية العلمية المنظمة. الأدب والكتابة . عموما باعتبارهما جزء من المؤسسة الاجتماعية والسياسية الشاملة، يزدهران بازدهارها وينحطان الى مرتبة ثانوية عندما ينتابهما الهرم أو لا تتكامل لهما مقومات التبلور والرسوخ»[2].

حيث أسند الى الكتابة في المرحلة الثانية من مراحل قيام الدولة و ظيفة إبراز هذه الدولة والتعريف بها وفرض هيبتها بين مختلف المجتمعات؛ وهذه الوظيفة هي خاصة بالقلم دون سواه.

---

[1] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: المستشرق الفرنسي: أ.م.كاترمير، عن طبعة باريس سنة 1958، المجلد الثاني، مكتبة لبنان، بيروت 1996، ص: 40–41 .

[2] صبري حافظ: الأدب والمجتمع، مجلة فصول، المجلد 1، العدد2، يناير 1981، ربيع أول 1401 هـ، ص: 67.

وهي إشارة منه الى العلاقة المتبادلة بين مختلف الأنظمة في تلك الفترة وفعل الكتابة، الذي يتأثر بها ويُأثر فيها من خلال العلاقات التي يقوم بنسجها الأديب صاحب القلم.

وإن كانت تبدو هذه العلاقة المطروحة قائمة على الوظيفة في أولها أكثر من الانعكاس؛ فإنه لاشك أثناء تأدية هذه الوظيفة سيعمل الكاتب على إبراز جانب من الجوانب التي تعكس حالة الاجتماع العامة لتلك الدولة في مرحلتها الكلاسيكية أو التطورية من حياتها.

2 – النشأة والتطور(عند المحدثين):

هذه الآراء السابقة لابن خلدون وإن لم تلق اهتماما من طرف المفكرين العرب والباحثين مع استثناء المرحلة الأخيرة التي التفت اليها بعض الباحثين لأجل دراستها، فإنها على العكس من ذلك في الثقافة الغربية فقد وجدت متابعة من طرف بعض الدارسين ولا سيما عند الإيطالي "باتيستا جوفاني فيكو" Jean Batiste Vico 1688 1744، «قال فيكو إن التاريخ هو تاريخ نشوء وتطور المجتمعات البشرية ومؤسساتها، وأعلن مبدأ القيمة الذاتية لكل عص ر، إضافة للتهيئة للعصر الذي يليه. وهو يرى أن بعض فترات التاريخ لها صفات عامة تتمثل في كل ناحية، و إن فترتين مختلفتين يمكن أن يكون لهما نفس الطابع. ولاحظ أن الفترات المتماثلة في التاريخ تميل للتكرر بنفس التتابع، فكل فترة بطولة تليها فترة كلاسيكية ثم فترة انحطاط نحوى بربرية جديدة، وهكذا فسر فيكو المجرى الكلي للتاريخ على مثال تَنام، وانحلال ثقافي متكرر، ولكنه متكامل.»[1].

ولعلّ هذه النظرة في فلسفة التاريخ التي يعرضها فيكو شديدة الارتباط بنظرية ابن خلدون في المجتمع، حيث قسم فيكو التاريخ الى ثلاث مراحل: مرحلة بطولة، ثم مرحلة كلاسيكية و أخيرا مرحلة الإنحطاط نحوى بربرية جديدة. وهي نفس المراحل التي أشار اليها ابن خلدون في تقسيمه للفترات التي تمر بها الدولة من خلال ربطها بواقع اجتماعي معين. كما أن فيكو يربط هنا كذالك بين التاريخ الذي يعبر عن مجتمع ما بالهياكل المؤسسية القائمة في ذلك المجتمع. ليؤكد بذلك النظرية الخلدونية التي تربط بين الأدب وتطور المجتمع.

[1] عبد العزيز الدوري: فلسفة التاريخ، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، يوليه، أغسطس، سبتمبر 1971، ص: 68.

وانطلاقا من هذه الن ظرة التي نادى بها في فلسفة التاريخ نجده يُؤكدها مرة أخرى «في معرض حديثه عن علم جديد يدرس الطبيعة المشتركة للأمم، حيث عرض لأهمية الأدب في الحضارات مركزا على دور الشعر في الحضارة القديمة، والعلاقة بين الملاحم البطولية والمجتمعات العشائرية في هذه الحضارة مشيرا الى أن: المجتمع لا يقدم ببساطة مسرحيات وأشعارا وروايات، لكنه ينمي أدبا وأدباء يستخلصون أعمالهم ومهاراتهم الفنية ونظرياتهم منه»[1].

فهو يشير هنا من خلال هذا الطرح الى تلك العلاقة القائمة بين الأشكال الأدبية التي تنتج في مجتمع معين، وطبيعة ذلك الواقع الذي ساهم في نشأتها ليؤسس بذلك لعلاقة صريحة بين هذه الأعمال الأدبية والواقع الاجتماعي الذي أُنتجت فيه.

وغير بعيد عن هذا الطرح الذي يطرحه فيكو بالنسبة لعلاقة الأشكال الأدبية بالواقع الذي أُنتجت فيه نجد نقاشات جادة أُثيرت حول هذه القضية في القرن 19، «حيث بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة بين الناحية الاجتماعية والأدب فصدر آنذاك كتاب لمدام دوستايل Madame de Stael (1766 1814) تحت عنوان "الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية" متناولة تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب، وتأثير الأدب فيها، ويمكن اعتبار هذا الكتاب من الأعمال الممهدة لسوسيولوجيا الأدب، فقد أثبتت فيه دو ستايل جدل التأثير والتأثر المستمر بين الأعمال الأدبية والشروط التاريخية والاجتماعية، ورأت أن كل عمل أدبي يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية ما حيث يؤدي وظائف محددة بها ...»[2].

---

[1] محمد حافظ دياب: *النقد الأدبي وعلم الاجتماع، مجلة فصول*، مرجع سابق، ص: 60 –61 .

[2] أنور عبد الحميد الموسى: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دكتوراه دولة في اللغة العربية وآدابها، دار النهضة العربية، ص: 87 – 86 .

وكان لهذه الدراسة التي وصلت فيها الكاتبة بين مختلف الأنظمة التي تشكل الواقع ومدى تأثيرها في الأدب ومدى تأثّره هو الآخر بها؛ تعتبر أول دراسة مُمنهجة حاولت من خلالها دخول عالم إجتماع الظاهرة الأدبية ، حيث «يتفق معظم الباحثين على أن الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجيا منذ أن أصدرت الكاتبة (مدام دي ستايل) كتابها (الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية عام 1800)، فأدخلت الى فرنسا بذلك المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع.»[1]، «تحدد مدام دوستال موقفها في المدخل بقولها: لقد عزمت على أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب ومدى تأثير الأدب في الدين والعادات والقوانين»[2]، أي أنها حاولت الاقتصار على دراسة ظاهرة التأثير والتأثر التي تتم بين مختلف العادات والتقاليد التي تعكس القومية المميزة لمجتمع ما في الأدب الذي يُنتَج فيها؛ ومدى تأثير ذلك الأدب فيها.

وبعبارة أخرى لقد طرحت مدام دوستايل مدى تأثير البيئة الاجتماعية بما تحمله من عادات وأخلاق وتقاليد في الأدب ومدى تأثير الأدب فيها. وقد قدمت «في كتابها المشهور عن المانيا صورة جديدة لفكرتي ابن خلدون وفيكو عندما تناولت الفارق الجوهري بين الشخصية الفرنسية الشغوفة بالحوار الولوعة بالصياغات اللامعة الرشيقة والشخصية الألمانية الممعنة في التفرد،

[1] صالح هويدي: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى، دمشق سوريا، ط1 ، 1436هـ 2015م ، ص:100 – 101.

[2] روبير اسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب، تر: أنطوان عرموني، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 01، 1978، ص: 23.

المقدسة للعقلانية المهتمة بالموضوع ولو على حساب الشكل أو الصياغة وناقشت مدى انعكاس هذه الفروق الشخصية على الأدب وعلاقة ذلك كله بالمناخ الجغرافي والاجتماعي.»[1].

لتضيف بذلك الى عنصر البيئة بما تحمله من عادات وتقاليد وطقوس دينية، ومدى تأثيرها في الأدب التي تناولتها في كتابها السابق عنصر العرق أو الجنس ومدى تأثيره في صياغة وطرح مختلف الأفكار التي تؤثر في الاعمال الإبداعية و «بهذه الملاحظات والأفكار تجاوزت مدام دي ستال ما قدمه السابقون عليها في مجال التفسير الاجتماعي للأدب مما جعل بعض الباحثين يعتبرون دي ستال الرائدة الحقيقية الأولى لسوسيولوجيا الأدب»[2].

وذلك راجع الى اقتحامها لهذا الميدان الاجتماعي، ومحاولتها تقديم الدليل الملموس الذي يؤكد أن الأديب يتأثر بالوعي الجمعي للمجتمع الذي يعيش فيه ؛ بما يحمله هذا الوعي من مختلف العادات والأخلاق والمظاهر الدينية التي تساهم في صياغة الأفكار لدى المبدع وتُكوّنها، والتي تجسد هذا الواقع الاجتماعي، الذي يقوم المبدع بترجمته في أعماله الأدبية، فالإنسان بطبعه اجتماعي يعيش وسط أفراد يتأثر بهم ويُؤثر فيهم.

وقد كان لتطور الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع على يد أوغست كونت، ودوركهايم أثره على تطور النقد الاجتماعي واكتسابه لأدوات إجرائية جعلت منه أقرب الى العلم منه الى الفن ، ويمكن اعتبار الناقد الفرنسي "هيبوليت تين" Hippolyt Taine (1928 1993)، أحد أبرز النقاد الاجتماعيين الذين تأثروا بالفلسفة الوضعية في علم الاجتماع، «ويمكن عد التحليلات التي ضمّها

[1]صيري حافظ : الادب والمجتمع مجلة فصول، المجلد 1 . العدد 2 . يناير م1981 . ربيع أول 1401 هـ ص:67.

[2]فتحي أبو العينين: التفسير الاجتماعي للظاهرة الأدبية، التراث وإشكالية المنهج، مجلة عالم الفكر، عدد 2 . 1 الكويت، 1995، ص: 177.

كتاب الناقد (هيبوليت تين) في كتابه "تاريخ الأدب الأنجليزي" عام 1863، أحد أبرز التطبيقات الممثلة للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله. »[1]، «وهو كتاب يرى أنّ الشخصية الأدبية لم توجد على نحو حر، بل خلقتها مؤثرات اضطراريّ صببتها في القالب الذي هي عليه »[2]

وبات من خلال هذا التوجه الذي يرى في الشخصية الأدبية مشروعا تتضافر على تحقيقه وتجسيده مجموعة من الظروف الإجتماعية التي تساهم الى حد كبير في التحكم في هذا الاتجاه الاجتماعي الذي تعبر عنه النفس الإبداعية؛ على نحو أصبحت فيه الكتابة ظاهرة اجتماعية؛ فكان أن وصل إلى نتيجة مفادها «أن البيئة والظروف العامة وروح العصر هي العوامل التي تحدد نوع الأعمال الفنية فلا يبقى منها إلا ما يتوافق مع هذه ال ضروف.»[3]؛ ليضيف بذلك الناقد تين الى عنصري البيئة والعرق الّذين طرحتهما مدام دوستال، عنصر الزمن (اللحضة التاريخية) ليُكوّن بذالك ما يعرف بالقانون الثلاثي في دراسة الأعمال الأدبية، الذي يتكون من ثلاث وحدات تتظافر فيما بينها لكي تُخضع الأديب أثناء هذه الدراسة للمعادلة التي تُكوّنها ، وهي أن كل أثر أدبي هو نتاج هذه العوامل التي تؤثر في المبدع؛ فيعكسها في عمله الإبداعي ويقصد بـ:

«1 – العرق أو الجنس race؛ بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

2 – البيئة، أو المكان أو الوسط، milieu؛ بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

---

[1] صالح هويدي: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1 ، 2015 م، 1436 هـ، ص: 101.

[2] ابراهيم السعافين: مناهج النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1997، ص: 43.

[3] صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1980 م، ص: 26 .

3 – الزمان أو العصر temps؛ أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.» [1]

لتصبح بذلك الأعمال الأدبية الناتجة عن جنس معين وفي وسط إجتماعي وفترة زمنية محددة تعكس طبيعة واقع اجتماعي معين، يحمل خصائص مُميزة لهذه البيئة الاجتماعية، يمكن أن نستدل من خلالها على دراسة الملابسات الخاصة ب هذا الواقع الاجتماعي من عادات وأخلاق، كما نستطيع معرفة طبيعة ومميزات الجنس والزمن الذي ينُمّ عن هذا الواقع الاجتماعي، ليساهم بذلك تين مساهمة فعالة في صياغة ميدان تخصص النقد الاجتماعي على أسس مقننة تميل الى الوضعية في دراسة الاعمال الأدبية في اجتماعيتها.

وقد انضوى هذا التخصص النقدي تحت الاتجاهات التي تهتم بالسياق الخارجي في نقد الاعمال الأدبية حيث : «يتمثل هذا الإتجاه عند من وصلوا الآثار الأدبية بسياقاتها التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية»[2]، وذهب أصحاب هذا التخصص الى «دراسة النص دراسة جدلية تنطلق، في البدء من البنيات الأدبية الدالة، يليها مرحلة البحث عن علاقة هذه البنيات بِنيَّة فكر فئة معينة أو جماعة اجتماعية معينة، تعيش في ظروف متشابهة تاريخية واقتصادية»[3].

أين يصل الناقد من خلال هذه العملية الى معرفة مختلف السياقات الاجتماعية الـتي ساهمت في تكوين هذا العمل الأدبي؛ «ولعل أول ما يتبادر الى الذهن هو صلة هذا المنهج بالمجتمع، وهو أمر غير منكور فهذا المنهج يربط بين النتاج الأدبي بأنواعه المختلفة، والبعد الاجتماعي، بيد أن

[1] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 1428 هـ، 2007 م، ص: 16.
[2] عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المنيل، القاهرة، 1999، ص: 07.
[3] سمير سعيد حجازى: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط 1،1421هـ، 2001م، ص: 123.

كل إنتاج أدبي لا بد أن يرتبط بالمجتمع وبالحياة الاجتماعية» [1]، إذ أن النقد الاجتماعي يختص بدراسة ونقد الأعمال الأدبية من خلال الاستناد الى الواقع الاجتماعي التي تجسدت فيه هذه الاعمال فألهمت الأدباء للتعبير عنها في صيغ وقوالب اجتماعية.

يقول جورج لوكاش : «إنه منهج بسيط جدا يتكون أولا وقب ل أي شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية، والتي فوقها، لنقل، أقيم تولستوي، والقوى التي تحت تأثيرها نمت شخصية تولستوي الإنسانية والأدبية »[2]، والتي اكتسب بموجبها تولستوي صفة أكثر كُتّاب الواقعية التي سخرت أدبها نحو خدمة المجتمع الروسي في فترة من فتراته، «ومن هنا يكون بين الأدباء من يلائم عصره ومن لا يلائمه ومن يفهم في عصره، ومن لا يفهم إلا بعد عصره بقرون، ومن هنا يكون بين الأدباء من يتاح له المجد السريع، ويكون منهم من يتاح له المجد البطيئ.»[3].

فأصبح بذلك تمثيل المجتمع والتعبير عنه في الأعمال الإبداعية، طريقا لابد أن يمر عليه كل مبدع، إن هو أراد أن ينقش اسمه على لائحة الأسماء التي مجدّها التاريخ، ويشتهر مابين أقلام المبدعين والنقاد، وانطلاقا من هذا الطرح «لم يعد فهم الكتابات الأدبية، الآن قاصرا على الحكم بدون نظر الى الصلة التي بينها وبين الكاتب وأحواله النفسية وتربيته العقلية ثم الى صلة ذلك كله بالاجتماع ... وهذه خطوة خطاها أخيرا النقد الأدبي في القرن 19.»[4]، إذ انتشرت الدراسات الاجتماعية التي كانت تدرس الافراد في المجتمع بصفتهم يعكسون مظاهر الجماعة التي

[1] إبراهيم السعافين: مناهج النقد الأدبي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1997، ص: 102.

[2] إنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي، تر: د. طاهر احمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون طبعة، 1412هـ . 1991 م ، ص: 148 .

[3] طه حسين: فصول في الأدب والنقد، القاهرة، جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، المشهرة برقم 7266 بتاريخ 26/ 08/ 2012 ، ص: 09.

[4] أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط 1، 1921، ص: 97.

ينتمون اليها، من خلال اتخاذ «هذه الشخصية وما يؤلفها من عواطف وميول وأهواء، وسيلة الى فهم العصر الذي عاش فيه الشاعر، والبيئة التي خضع لها، والجنسية التي نجم عنها هذا الشاعر، فأنت لا تقصد فهم الشاعر لنفسه، وإنما تقصد الى فهم الشاعر من حيث هو صورة من صور الجماعة التي يعيش فيها ... فأبو نواس وحده لا يعنيك، وإنما يعنيك أبو نواس من حيث إنه كان يعيش، لا أقول مع فلان وفلان »[1].

لتشكل بذلك هذه العناصر المتمثلة في (اللحظة التاريخية والبيئة والعرق) أساس النقد الاجتماعي الذي يسعى الى هتك الظاهرة الأدبية من زاوية اجتماعية ، وقد ساعدته هذه العناصر على اتخاذه لمبادئ وأدوات إجرائية ساعدته على التأسيس لهذه العملية النقدية.

وقد كان للفكر المادي التي جاءت به الماركسية هو الآخر أثر هفي تطور المنهج الاجتماعي، واكتسابه لأدوات إجرائية جديدة أمَدتهُ بها الفلسفة الماركسية، اكتسب بموجبها إطارا فكريا ناضجا،«نادى النقاد بعد ذلك بضرورة الرّبط بين الأدب والمجتمع، وعدو الاهتمام بالواقع ضرورة لابد منها . ولقد أولى مفكر مثل ماركس البنية التحتية وه ي الاقتصاد اهتماما أساسيا في طبيعة البنية الفوقية أي الثقافة ... لقد قرن المذهب الاجتماعي بين الأدب وطبيعة الأشكال الاقتصادية، وقد نادى النقاد الماركسيون بإيجاد علاقة واضحة بين الأشكال الأدبية وعلاقات الإنتاج.»[2]، لتكون بذلك البنية الفوقية التي تحتوي على الأشكال الأدبية المختلفة ، ما هي إلا انعكاس للبنية التحتية المتمثلة في أدوات الإنتاج أي الجانب المادي والذي هو حسب ماركس المُوجه الأساسي للأدب.

[1] طه حسين: حديث الأربعاء ج 2، دار المعارف، القاهرة، ط 14، ص: 52.

[2] إبراهيم السعافين: مناهج النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، مرجع سابق، ص: 08 .

وقد احتلت فكرة الأبنية التحتية والفوقية وضع جوهري في النقد الاجتماعي الماركسي ، حيث تتمثل الأولى في «حقائق الحياة المادية المتعينة المتمثلة في الوجود الفعلي الخارجي للمجتمعات والبشر، في تجسدها المادي في الجانب الاقتصادي والسياسي، ونظم العلاقات الاجتماعية .»[1]؛ فالجانب المادي في هذه الفلسفة مهم جدا، لما يتوفر عليه من مادة أساسية تساهم في توجيه الوعي الإنساني والفكري في بنيته الفوقية, حيث «أن القانون والسياسة (الذين ذكرهما ماركس) يمثلان البنية الفوقية الى جانب الجوانب الفكرية والثقافية الأخرى. وهي الدعوى التي دفعت النقاد الماركسيين الى القول بأن فهم الأدب، باعتباره بناء فوقيا، يتطلب فهم الأساس؛ أي البنية الاقتصادية.»[2]

وبالبرغم من أن طبيعة النظم والعلاقات التي تتكون منها المادة الأدبية تختلف عن طبيعة المادة الاقتصادية، إلّا أن النقاد الماركسيين أثبتوا بأن العملية الإبداعية والفنية التي تشكل البنية الفوقية في الفلسفة الماركسية ؛ ما هي إلّا عبارة عن انعكاسات للبنيات الاقتصادية التي تشكل المادة التحتية في الواقع الاجتماعي، « فمن المحال فصل الفكر عن مادة التفكير هذه المادة هي الحامل لجميع التغيرات الحاصلة في العالم. »[3],

لقد اتجه الفكر الماركسي كله ناحية الاتجاه المادي الاقتصادي ، الذي أصبح في عصر الماركسية هو المُوّجه للتاريخ وهو الذي يُحدد مختلف أنماط الوعي الفكري الاجتماعي، وهذه النظرة

[1] صلاح فضل: منهج الواقعية في الابداع الادبي،مرجع سابق، ص: 29 – 30 .

[2] محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط3، 2003، ص: 07 .

[3] فردريك انجلز: الاشتراكية: الطوباوية والعلم، سلسلة دفاتر ماركسية 2، اشراف: سلامة كيلة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، شباط 2013 ص: 27.

المادية للتاريخ هي التي قادته فيما بعد الى النظر الى المجتمع على أنه يتكون من طبقتين: طبقة البروليتاريين وطبقة البورجوازيين.

إنّ الماركسية بصفتها فلسفة اجتماعية حاولت التركيز في فلسفتها على تغيير الوضعية الاجتماعية، وتساوي بين كفتي الطبقات الاجتماعية لتقضي بذالك على التفاوت الطبقي بين الطبقتين اللتان تحكمان المجتمع، ولتفعل كل هذا حاولت أن تجيب على السؤال الجوهري: ما الذي يجعل المجتمع يتحول ويتغير باستمرار؟ ووجدت بأن هذا التحول والتغير ناتج عن محاولة إمتلاك الإنسان للثروة، وهذا الإمتلاك تحوّل الى صراع بين المستغَل والمستغِل، المستغِل يريد أن يوسع في أملاكه والمستغَل يريد أن يأخذ حقوقه.

وهكذا يتأسس نظام طبقي من خلال هذا الصراع المتشكل بين الطبقة الفقيرة و التي يمثلها الفلاحون ومختلف العمال الكادحين ، والطبقة الغنية ويمثلها البورجوازيون أصحاب الثروة؛ والتاريخ يحكمه هذا الصراع، والأدب ومختلف الفنون يجسدون هذا الصراع ويعكسونه في أعمال إبداعية مختلة، «أما ماركس فقد كان ينزع الى التفاؤل، وربما كان يؤمن مثل سبنسر بنظرية المذهب التاريخي في الأخلاق، فترتب على ذلك أن كانت خطته تصور مجتمعا متطورا ديناميكيا حركيا ولم تكن خطة مجتمع توقفت حركته .»[1]، ولقد تنبأ بذلك للمجتمع بتطور ينتهي به الى نظام يوتوبي مثالي، لامكان فيه للتمايزات الطبقية، يعيش في عالم مُؤسس على النظام الاشتراكي ، ويومها ستنتهي وظيفة الأدب والفن وتصبح وظيفته مُخصصة للمتعة والتسلية لا أكثر ، ليؤسس بذالك لنوع من الواقعية الجديدة عرفت بالواقعية الاشتراكية.

[1] كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، تر: عبد الحميد صبره، دار المعارف، الإسكندرية ، ط 3 ، 1959، ص : 96.

وقد جاء تعريف الواقعية الاشتراكية: « تتطلب الواقعية الاشتراكية، كمنهج للأدب والنقد الأدبي السوفيتي من الفنان تجسيدا صادقا وذي ميزة تاريخية للواقع في تطوره الثوري، في الوقت ذاته، يجب أن يتزاوج هذا الصدق وهذه الميزة التاريخية في تجسيد الواقع مع مهمة تكوينه وتعليمه ايدولوجيا للعمل بروح الاشتراكية .»[1]، ولعل الواضح من خلال هذا أن الواقعية الاشتراكية تتطلب من الأديب والناقد تصوير الواقع الاجتماعي في تطوره الثوري الذي يتجه فيه نحو المجتمع اللاطبقي والتعبير عنه في الأعمال الإبداعية المختلفة.

فالثورة هي التي تميز الواقعية الاشتراكية بصفة عامة، لذلك نجد أن مختلف الماركسيين يُقرنون بين تحقيق الواقعية الاشتراكية والثورة، وقد أدى هذا التحول من الواقعية الى الواقعية الاشتراكية عن طريق وعي الفنان والأديب للصراع الذي يعيشه الواقع الاجتماعي وتجسيده في عمله الفني، أدى كل هذا كذالك الى تحول ن ظرية الانعكاس من التعبير عن الواقع الاجتماعي في سكونيته ؛ الى التعبير عن الواقع الاجتماعي في طريقه نحو تحقيق الاشتراكية، وبذلك التعبير عن مختلف الثورات التي تجسدها هذه الطبقة، في سبيل تحقيق هذا الهدف ، أي التعبير عن المجتمع في ديناميته،«وفضلا عن ذلك فإنّ ما نسميه واقعا ليس إلا الصورة الذهنية التي لدينا عن الحياة، فأي شيء لا يتخذ وجوده إلّا من الصورة الذهنية التي لدينا عنه، ولمّا كانت هذه الصورة ملكنا فنحن نستطيع أن نلوّنها باللون الذي نريده، والذي نرى فيه مصلحة لأنفسنا ومجتمعنا ... ثمّ إنّه لا يلزم

[1] تشارلز أ. موز: تاريخ الأدب الروسي، تر: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، بدون طبعة، 2011، ص: 534.

– لكي يوصف الأدب بالصدق – أن يقصّ ما حدث فعلا، بل يكفيه أن يقصّ ما يمكن حُدوثه. وبذالك يصبح أدبا معقولا مشاكلا للحياة وبالتالي صادقا.»[1].

وبذالك أصبحت الواقعية الاشتراكية تجسيدا هي الأخرى للواقع ، وتختلف عن الأولى في أنها تُعتبر تجسيد للواقع الاجتماعي في ديناميته وليس في سكونيته، ونستطيع القول بذلك إن «الواقعية الاشتراكية تستحق اسم الواقعية لأن الواقع في الأدب لا يلزم بما هو كائن بل يصح أن يشمل ما يمكن أن يكون، وهذا هو على وجه التقريب ما يقوله أرسطو عن المحاكاة»[2].

وبفكرة واحدة تلخص لنا كل هذا الحديث الذي قلناه عن النقد الماركسي نستطيع القول ، إن الماركسية وجهت الأدب الى الواقع، من خلال الفكر المادي الفلسفي التي جاءت به؛ واتجه بذلك النقد الماركسي الى فهم هذا الواقع وكيفية التعبير عنه تعبيرا ينمّ عن فهم تلك العلاقة التي تجمع بين الطبقتين اللتان تُكوّنان المجتمع، وبذلك تكون نظرة الفلسفة الماركسية الى المجتمع، من أهم الإسهامات التي ساهمت الى حد كبير في اقتراح مجموعة من النظريات النقدية التي ساهمت في التأصيل للنقد الاجتماعي كنظرية الانعكاس وقضية الالتزام والواقعية والواقعية الاشتراكية.

ومع كل هذا الإرث الاجتماعي التي جاءت به الماركسية في تفسيرها للأعمال الأدبية في اجتماعيتها؛ لابد كذلك أن نشير الى طروحات الفيلسوف الماركسي جورج لوكاش مجدد التفكير الماركسي ولكن بصيغته الجديدة حيث «يستخدم لوكاش مصطلع الانعكاس reflection استخداما متميزا يبين عن عمله كله، فقد رفض النزعة الطبيعية naturalism العملية التي كانت نزعة جديدة

[1] فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، جميع الحقوق محفوظة للدار العربية للكتاب، بن عروس، تونس، ط1، 1988 ، ص: 200.

[2] شكري عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة 177، ربيع الأول 1414 هـ سيتمبر/ أيلول 1993، ص: 34.

آنذاك في الرواية الأوروبية، وعاد الى النظرية الواقعية القديمة التي ترى الرواية انعكاسا للواقع، لا بمعنى أنها تقتصر على وصف المظهر السطحي للواقع، بل بمعنى أنها تقدم انعكاسا أكثر صدقا وحيوية وفعالية للواقع، فالانعكاس معناه تشكيل بنية ذهنية تصاغ في كلمات.»[1]

فكان بهذا لوكاتش يبحث عن طريقة أخرى للبحث في اجتماعية الاعمال الأدبية انطلاقا من البنيات التي تشكل هذا العمل الأدبي، وهذه النظرة هي في الحقيقة امتداد للمقولات التي ترددت في مؤلفه التاريخ والوعي الطبقي، مثل مقولة الكلية والوعي الطبقي، باعتبارهما تعبير عن الوعي الشامل الذي يميز طبقة ما، يقول: «ليست أولية الأهداف الإقتصادية في شرح التاريخ، هي التي تميز بصفة فاصلة الماركسية عن العلم البورجوازي، وإنما النظرة الكلية، إن مقولة الكلية، والسيادة المقررة، في كل القطاعات للكل على الأجزاء، هي التي تكون جوهر المنهجية التي أخذها ماركس عن هيغل وحولها بطريقة إبداعية، ليجعل منها أساسا لعلم جديد تماما.»[2].

فمقولة الكلية هي التي تستطيع أن تجعلنا ندرك الواقع في شموليته والتي نستطيع من خلالها أخذ رؤية شاملة كاملة عن هذا الواقع , وتجسيده في بنية كلية Totalité وهي «بنية أدبية تتألف من عناصر داخلية يحكمها عناصر خاضعة للنظام الذي يحكم عناصر الأثر ككل »[3]، والتي نستطيع من خلال إدراك هذه البنية وتحليلها، فهم وتفسير هذا الواقع في جانبه الاجتماعي المُتجسد في مختلف المستويات البنيوية التي تعرضها اللغة؛ يقول لوكاتش: «على أن الواقع لا يمكن استيعابه وتحصله إلّا ككلية.»[4]، هذا بالإضافة الى مصطلح الوعي الطبقي الذي يربطه بالبروليتاريا

[1] رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، 1998 م، ص: 55.
[2] جورج لوكاش: التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنّا الشاعر، دار الاندلس، ط 2، 1982 م، ص: 33.
[3] سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص: 140.
[4] جورج لوكاش: التاريخ والوعي الطبقي، مرجع سابق، ص:42.

ووعيها للحالة الاجتماعية التي هي فيها بصورة كلية ، مما يجعلها تتحرر من سيطرة الطبقة البورجوازية، وتحقيق المستقبل الذي تعم فيه الاشتراكية.

ولقد استلهم لوسيان غلودمان Goldmann كل هذا الإرث اللوكاتشي بالإضافة الى بعض المفاهيم الأخرى التي استعارها من أستاذه "جان بياجيه" ليُؤسس منهجه في علم اجتماع الأدب: البنيوية التكوينية Structuralism génétique، «وهو المنهج الذي يتناول النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية، وذلك من منطق التسليم بأن كل أنواع الابداع الثقافي تجسيد لرؤيا عالم متولدة عن وضع اجتماعي محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية بعينها.»[1].

مستفيدا بذلك من مقولة الكلية التي وضعها جورج لوكا ش؛ على أنها المدخل الأساسي لأي ناقد اجتماعي يريد التأسيس لدراسة المجتمع وفهمه كصورة كلية، «ومعلوم أنّ غلودمان قد طوّع هذه المفاهيم ولعّل أبرزها "رؤية العالم" ومفهوم "التّناظر". »[2]، فهذه الطريقة هي التي تتيح للناقد والأديب معرفة كل ما يحيط بالأوضاع الشاملة التي تميز طبقة من الطبقات الاجتماعية لكي يستطيع في الأخير تجسيدها والتعبير عنها في عمله الإبداعي. فرؤية العالم التي كثيرا ما ترددت في كتابات غلودمان هي بمثابة امتداد لمقولة الكلية. «واذا كان العمل الأدبي يتجاوب بنيويا مع ماتتجه اليه المجموعة على هذا النحو ، فلا سبيل الى دراسته الا من زاوية طبيعته، أي بالتركيز على صياغاته المتلاحمة، من حيث هي بنية توازي بنية أخرى أو تتجاوب معها، ومن المهم أن نؤكد أن هذا التوازي، أو التجاوب هو بين أبنية للمقولات، وليس بين محتويات إمبريقية مبعثرة هنا

[1] جابر عصفور: نظريات معاصرة، مهرجان القراءة للجميع، صيف 98، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم الإيداع بدار الكتب9603 / 1998، ص: 83.

[2] الذهبي اليوسف: الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، الجمهورية التونسية، ط1 ، م2016 – 1437هـ، ص: 248.

أوهناك»[1]، وهي قائمة أساسا على فكرة التماثل بين بنيتين بنية اجتماعية وبنية أدبية، فالمجتمع بنية والنص بنية والعلاقة بينهما ليست علاقة قائمة على الانعكاس كما نادت بذلك الفلسفة الماركسية بقولها إن الأدب مرآة تعكس الواقع.

وإنما هي علاقة قائمة على أساس التماثل، فعندما نبحث في نص إبداعي لكاتب ما ونجد فيه حضورا لأفعال الأمر بصفة مكثفة مثلا، نحكم على هذا المجتمع مباشرة بأنه يعيش في واقع مقموع، بدون الذهاب لتفحُص هذا الواقع. تلك هي فكرة البنيوية التكوينية.

وبهذا نستطيع القول «إن العلاقة بين حياة المجتمع والخلق الأدبي لا تتصل بمضمون هذين القطاعين من الواقع الإنساني عموما . وإنما تتصل بالأبنية العقلية أساسا ، أي ما يمكن أن يسمى بالمقولات التي تشكل الوعي الأمبريقي لمجموعة اجتماعية بعينها، وبالعالم التخيلي الذي يخلقه الكاتب»[2]، «فالبنية ذات طابع وظيفي من حيث أنها تجاوز نوعي لمشكل قار في أعماق هذا الموقف. وهي بنية دالة من حيث أنها تنطوي على معنى موضوعي لهذا المشكل. وهي بنية جمالية ، لأنها تجاوز نوعي، أي لأنها صياغة خيالية وليست تصورية للمشكل، وهي بنية موازية أو متجاوبة مع أبنية أخرى، تصوغ المشكل صياغة نوعية مغايرة...وهي لذلك كله بنية متولدة عن بنية أشمل، وأبنية أشمل هي رؤية العالم عند المجموعة الاجتماعية، أو الطبقة التي ينتمي إليها الأديب»[3].

---

[1] جابر عصفور: عن البنيوية التوليدية قراءة في لوسيان غلودمان، مجلة فصول ، المجلد2 . العدد2 . يناير 1981 . ربيع اول1401، ص: 96.

[2] لوسيان جلودمان: علم اجتماع الادب الوضع ومشكلات المنهج مجلة فصول ، المجلد2 . العدد2 . يناير 1981 . ربيع اول1401،ص: 102.

[3] جابر عصفور: عن البنيوية التوليدية قراءة في لوسيان غلودمان ، مجلة فصول ، مرجع سابق ، ص:88.

ليكون بذلك لوسيان غلودمان ، «بخلاف البنيويين المنكبين على مشاكل اللّغة الفنية، حيث كانو يأملون اكتشاف ما لا يمكن وصفه،كان في منتهى الوضوح فيما يخص حدود المنهجية التي يتبناها، إنه يعتبر أن التفسير السوسيولوجي هو أحد أهم العناصر في تحليل عمل فني ما .»[1]، وقد تميز هذا المنهج الغلودماني بـ «مرحلتي "الفهم" La compréhension و"التفسير" L'explication : تهتمّ مرحلة "الفهم" بالكشف عن المكوّنات النّصّيّة والعلاقات القائمة بينها للوصول الىّ البنية الدّالّة La structure significative. وفي هذه المرحلة يُنظر الى النّص بما هو وحدة مُكتفية بذاتها. وبعد الكشف عن " البنية الدّالة" وذلك بالوقوف على "النّسق" الّذي يكوّن العناصر الدّاخلية للعمل، تأتي مرحلة "التّفسير" الّتي يتمّ فيها إقامة علاقة بين "البنية الدّاخليّة" للعمل الأدبيّ و"البنى الدّالة" Structures catégorielles significatives. و"البنى الذّهنيّة" Structure mentale. ويكون ذلك بضرب من "التّناضر" Homlogie . ومن هنا، فإنّ الأدب ليس انعكاسا بسيطا لـ"الوعي الجماعيّ الواقع" Consciense collective réelle بقدر ما هو تعبير عن مدى انسجام هذا "الوعي" عند جماعة ما. وفي هذا الإطار يميّز غولدمان بين نوعين أساسيّين من "الوعي" : وهما "الوعي الواقع" "والوعي الممكن" »[2]. ولعلّ في هذا المقتطف الذي يورده الناقد الجزائري الذهبي يوسف في كتابه الأدب والأديولوجيا، خير ما نختم به مناقشتنا لهذا المنهج الغلودماني، الذي تمكّن فيه أن يبين لنا كل الأدوات الإجرائية التي تميزه، لي كون بذلك المنهج البنيوي التكويني من أهم المناهج النقدية لأنه استطاع أن يجمع بين ثنائية (الداخلي / الخارجي) في قراءته للأعمال الإبداعية، مستفيدا بذلك من المفاهيم التي جاء بها علم اللّغة الحديث ومطورا الرؤية السياقية التقليدية في نظرتها للواقع الاجتماعي.

[1] لوسيان غلودمان: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، ط2 ، 1986 ، ص: 42.

[2] الذهبي اليوسف: الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 133 – 134.

الفصل الثاني

المجتمع في التجربة النقدية

1- المجتمع / نقد الشعر

أولا – الواقعية الإنتقادية

ثانيا – قضية المرأة

ثالثا – الواقعية الاشتراكية

2 – المجتمع / النقد المسرحي

أولا – المسرحيات التي تناولت الثورات التحررية

ثانيا – المسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي

3 – المجتمع / النقد االروائي

1 . المجتمع / نقد الشعر:

لقد استطاعت الأعمال النقدية الجزائرية التي تناولت التجربة الشعرية في الجزائر من جانبها الاجتماعي، أن تمنحنا رؤية اجتماعية أكثر تبصرا وتنويرا للحضور الاجتماعي؛ الذي ميّزها بالإضافة الى أنها اكثر انضباطا وتوسعا ، مما أدى بي كباحث في النقد الاجتماعي الجزائري أن أتخذ هذه الاعمال النقدية الشعرية التي استلهمت هذا الإرث الاجتماعي الجزائري لتقديم رؤية اجتماعية انطلاقا من هذه التجربة النقدية.

ومن بين هذه الدراسات النقدية التي تناولت التجربة الشعرية في الجزائر دراسة الناقدة زينب الأعوج الموسومة بـ: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر– دراسة نقدية –.

وإن كان السجل النقدي للناقدة الجزائرية يحفل بمجموعة من الأعمال النقدية المميزة ، إلا أنني بعد اطلاعي على هذه الدراسة وجدت بأن الناقدة استطاعت تسليط الضوء بصورة مميزة على الحضور الاجتماعي الذي ميّز الواقع االجزائري ، هذا ما جعلني أنفرد بدراستها النقدية في هذا البحث على وجه التخصيص في استجلاء الحضور الاجتماعي الذي عملت على طرحه وعكسه في لمسات نقدية.

وقد تناولت الناقدة في دراستها هذه مجموعة من القضايا توزعت بين الواقعية الانتقادية وقضية المرأة ووالواقية الاشتراكية، وهي قضايا مهمة يتكئ عليها النقد الاجتماعي في إبرازه للصورة الاجتماعية التي كانت تميز واقع المجتمع الجزائري. كما أنها تعتبر أدوات مهمة يستعين بها النقد الاجتماعي لرفع النقاب عن الوجود الاجتماعي الجزائري ، ومنحه أبعادا اجتماعية واسعة تستطيع أن تتسرب من خلالها صورة المجتمع الجزائري الى الوعي النقدي الذي طرحته الناقدة زينب الاعوج في هذه الدراسة.

وقد سلطت الناقدة الضوء في دراستها النقدية هذه على مجموعة من الشعراء الشباب الذي يمتهنون صناعة الشعر الحر باللغة الفرنسية والعربية ؛ هذا مع العلم أنهم ينتمون الى جيل السبعينات والثمانينات, وهي نصوص شعرية توزعت مابين الدواوين والمجلات وكانت أغلبها تحكي صيحات اجتماعية عملت الكاتبة على عكسها في أصداء نقدية اجتماعية معبرة عنها.

ولعل بعد هذه التوضيحات يحق للمطلع على هذا البحث أن يطرح مجموهة من التساؤلات، لعل أهم هذه التساؤلات هي كيف تجلت صورة المجتمع من خلال الواقعية الانتقادية ووقضية المرأة ووالواقعية الاشتراكية، باعتباره أن هذه القضايا تعتبر أساسية في هذه الدراسة النقدية التي تناولتها زينب الأعوج؟.

أولا / الواقعية الانتقادية:

لقد تميزت الواقعية الانتقادية التي طرحتها الناقدة في هذه الدراسة بمميزات اجتماعية ، تعكس مجموعة من التمظهرات التي تجسد الصورة العامة التي تهيمن على الحضور الاجتماعي الذي مّيز هذه الفترة، وهذا راجع الى أن الواقعية الانتقادية التي تطرحها الناقدة هنا تعتبر بمثابة استكمال للتجربة الشعرية الانتقادية هي الأخرى ، وهو ما توضحه الناقدة بقولها: «إن الشعر الواقعي الانتقادي استطاع أن يكشف بواسطة وسائله المتواضعة النقاب عن الوجود الاجتماعي بوصفه أساسا جوهريا للوعي الاجتماعي»[1].

وهذا مما أصبح اليوم مسلمة لا يقبل الشك فيها فما دامت التجربة الشعرية في أصلها لا يمكن أن تتنصل من إبرازها للجانب الاجتماعي التي نشأت بين طيّاته، فإن التجربة النقدية التي

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . دار الحداثة ، بيروت، ط1، 1985 ، ص:05 .

تستتبعها بالنقد والتمحيص لاشك أنه سيتسرب اليها الوعي الاجتماعي ، مما يؤدي الى اصطباغها بلمسات وخصوصيات تجعل منها هي الأخرى مرآة عاكسة لصورة المجتمع.

حيث أن هناك إتفاق كلي في الساحة النقدية على أنه ، «ثمة علاقة بين الإبداع والنقد إذ لا يمكن أن نجد أدبا دون نقد كما لا يمكن أن نجد نقدا دون أدب، وإن لم يمارس النقد على أدب غيره، إذ أنه من المؤكد أنه يمارس النقد على أدبه تصحيحا وصقلا دون أن يعي في كثير من الأحيان أنه يمارس فعالية نقدية»[1].

فللنقد ملازم للأدب ، وبما أن العمل الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا هو تعبير عن الحالة الاجتماعية؛ فإن النقد الذي يتتبع هذا العمل الأدبي من زاوية اجتماعية ، سيعكس هذه المظاهر الاجتماعية التي يطرحها الأدباء في أعمالهم الابداعية، وكأن قدر الأدب هو النقد، فهو يمارس سلطته على العمل الأدبي ويرافقه منذ بداية ظهوره وتمثل فكرته في ذهنية المبدع من خلال توجيهه وتصويب النظرة الاجتماعية التي تطرح فيه ، بناء على مواصفات بنية هذا الواقع الاجتماعي وما يحمله من مؤثرات ساعدت في ولادة العمل الإبداعي وخروجه الى الوجود.

لتصبح بذلك الأعمال النقدية التي تتناول الأعمال الشعرية الناتجة عن جنس معين وفي وسط اجتماعي وفترة زمنية محددة ، تعكس واقع ا اجتماعيا معينا يحمل خصائص مميزة لهذه البيئة الاجتماعية، يمكن أن نستدل من خلالها على دراسة الملابسات الخاصة بهذا المجتمع من عادات وأخلاق كما نستطيع معرفة طبيعة ومميزات الجنس والزمن واللحظة التاريخية التي تعكس لنا طبيعة المجتمع في هذه المرحلة، «فينبغي أن يُلتمس من هذه المؤثرات وينبغي أن يكون الغرض الصحيح

[1] ماجدة حمّود: علاقة النّقد بالإبداع الأدبيّ، منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، 1997، ص: 05.

من درس الأدب والبحث عن تاريخه إنما هو تحقيق هذه المؤثرات التي أحدثت الكاتب أو الشاعر وأرغمته على أن يصدر ما كتب أو نظم من الآثار.»[1].

وبالرغم من أنّنا نجد أن الناقدة تشير الى محدودية الواقعية الانتقادية في تمثيلها لصورة المجتمع، إلَا أنها ما تلبث أن تُشيد بالإيجابيات التي تشفع لها وتجعلها تقدم وصف ا دقيقا لحالة المجتمع الجزائري؛ وهذا ما توضحه بقولها: «وهذا الأدب الواقعي الانتقادي، وبالرغم من محدودية رؤيته مرات، فقد التقط كل صغيرة وكبيرة في المجتمع ملاحظا.. وشاهدا وناقدا» [2]، ولعلَ هذه الخطوات التي تحفل بها الواقعية الانتقادية والتي جعلت من محترفيها ملاحظين للواقع الاجتماعي وشاهدين عليه ثم نقادا له في نفس الوقت ، هي مميزات جعلت من هم جماعة أكثر أمانة في استجلائهم وتمثيلهم لصورة المجتمع الجزائري.

إنّ أوّل دراسة اجتماعية في إطار الواقعية الانتقادية تبدأ بها الناقدة هذه الدراسة كانت للشاعر (ابن العقون) في قصيدته من (وحي ملوزة) وذلك سنة 1957، وعلى حسب ما ترى الناقدة زينب الأعوج «أن الكاتب لا يفلسف الأمور كثيرا أبدا، إنه يصف مشاهداته من خلال تلك المجازر وبواقعية كبيرة، وإن كانت تفتقد الى الرؤية المستقبلية ولكن في تلك الفترة ، يكفي أنها امتلكت الجرأة الكافية لإدانة الاستعمار بكل اليته وفضح جرائمه»[3]،

إن الناقدة زينب الأعوج تعود بنا الى الحالة الاجتماعية التي كانت تميز المجتمع الجزائري، سنة1957، وتطرح من خلال ذلك مختلف الأدوات الإجرامية البشعة التي كان يمارسها المستعمر الفرنسي في حق المجتمع الجزائري ، وهي صورة تبين عن حالة المجتمع الجزائري في

[1]طه حسين: في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط 3، 1352 هـ، 1933 م، ص: 41.
[2]زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:8 .
[3]نفسه، ص:9.

تلك الفترة وما كان يتعرض له من تسلط وقهر وتعذيب يمارس في حقه من طرف المستعمر الفرنسي، «فهذه الصورة العارمة جاءت ردا على ظلم الطغاة وعلى اعتدائهم المستمر على هذا الشعب الذي لم يخضع ولم ينحن» [1], وفي نفس الوقت عملت الناقدة على تعريّة وفضح الجرائم الاستعمارية التي كانت تمارس في حق المجتمع الجزائري.

إلا أنّ الناقدة توقفت عند وصف هذه المذابح والمجازر الاستعمارية التي كان المستعمر يمارسها في حق المجتمع الجزائري، لتعطينا بذلك صورة مميزة عن حالة المجتمع الجزائري في تلك الفترة؛ ولم تُجاوزها الى طرح البديل الحضاري الذي يُخرج المجتمع الجزائري من هذه الأزمة.

وعلى نفس المسار وفي إطار الضلال والآراء النقدية التي تبثها الناقدة زينب الأعوج في هذه الدراسة، تواصل في طرحها للجوانب الاجتماعية التي كانت تميز حالة المجتمع الجزائري من خلال تسليطها للضوء على نفس الشاعر، ولكن هذه المرة تنقلنا الناقدة الى جانب آخر من الجوانب الاجتماعية التي تعطينا صورة تعكس لنوع آخر من الحضور الاجتماعي الجزائري ، وبالتحديد فإن الناقدة تحدثنا «عن إضرابات الثمانية أيام سنة 1957 والتي وقعت في شهر (جانفي) في قصيدة كتبها في 05 مارس 1957»[2]، ولاشك أن الناقدة بسلوكها هذا المسلك أثناء طرقها لهذا الجانب من المقاومة في المدينة ، والذي كان يجسد حضور المجتمع الجزائري الواعي بالمسؤولية التي تطرحها الثورة التحريرية؛ مما أدى الى «اكتسابه حرارة التوجيه وصدق الشعور بالموضوع» [3]، تريد أن تطرح الناقدة من خلال ذلك فكرة التفاف كامل الفئات المكونة للمجتمع الجزائري ، وتجسيد حضورها في هذه المظاهرات التي تهدف إلى مساندة العمل المسلح في الجبال.

---

[1] عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية (دراسات ادبية ونقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية . بن عكنون . الجزائر، 1994 ، ص: 26.

[2] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:9.

[3] أبو القاسم سعد الله : دراسات في الادب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب الجزائر ، ط5 ، 2007 ، ص:44.

وهذا دليل على تسرب الوعي الثوري للمجتمع الجزائري آنذاك ، مما أكسب هذه المظاهرات بُعدا اجتماعيا مؤثرا على المستوى الإقليمي الداخلي وعلى المستوى الخارجي، وهذا ما تبينه الناقدة بقولها: «فقد كانت الإضرابات إبان الثورة التحريرية وسيلة فعالة من وسائل النضال، لمواجهة الاستعمار. كما كانت وسيلة للتضامن وتحدي الاستعمار» [1]، فاستجابة المجتمع الجزائري لهذه الإضرابات بصفة جماعية تأكيد على حضوره في نفس الوقت ونفس المكان ، لإثبات تفاعله مع العمل المسلح الذي كان يتم في الجبال ومساندته الكاملة له, والاتحاد في صوت رجل واحد وإسماع صوت القضية الجزائرية وتحريكها في كل مكان.

وبعد هذه الأجواء الثورية التي حرصت فيها الناقدة على تقديم صورة تعكس مظاهر حضور المجتمع الجزائري الذي كان يميز هذه الفترة ، من خلال استجلاء طبيعة الفكر الاجتماعي الذي كان يسيطر على الجمهور الجزائري، ف إن الناقدة قد عملت من خلال تقديمها لبعض الشذرات الفلسفية لشاعر أخر من شعراء الجزائر وهو "أحمد حمدي" على إعطائنا صورة اجتماعية أخرى تعكس مظاهر المجتمع الجزائري بعد الاستقلال. و إن كانت هذه المظاهر قد مثّلت لنا جانب اجتماعي يتخبط فيه المجتمع الجزائري مخالف لكل المبادئ التي حارب الشعب الجزائري من أجلها أثناء الاستعمار.

ولعلّ هذا ما حذا بالناقدة الى أن تعبر عنها في ثوب الشهيد ، التي تبقى أكثر صورة معبرة لانحراف المبادئ التي حارب الشعب الجزائري من أجلها أثناء الثورة، وهذا ما توضحه الناقدة بقولها: «فالشهيد أصبح يجوب الشوارع، شوارع وطنه، ليرى المشاكل بعينيه، ليرى الأطفال في

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:10.

الأزقة من ماسحي الأحذية وبائعي السجائر، والحاملين الجوع أكياسا على الرقاب النحيفة»[1]، وكأن الناقدة بهذا تحاول أن تبرز مظاهر اجتماعية خيّمت على المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، تُمثّل لنا من خلالها صورة مجتمع يعيش كل أنواع المعاناة والتهميش في هذه الفترة في توليفة تعبيرية نقديَة ممزوجة برمز الشهيد وصورة الطفولة المهمشة , لكي توضَح لنا مدى انحلال المبادئ والقيم التي حارب من أجلها الشهداء أثناء الثورة التحريرية، «والحقيقة أن شهداء الجزائر... كانوا يدافعون عن أشياء ثمينة، دافعوا عن الحب، عن الأجيال التي ستأتي في الغد كما دافعوا عن الأغاني التي يرددها الأحرار من بعدهم»[2].

وعلى نفس الوتيرة في إبراز صورة المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ؛ تنتقل بنا الناقدة زينب الأعوج لاستخراج تمظهرات الحياة الاجتماعية من أراء الشاعرة "ربيعة جلطي"؛ لكي تبيّن لنا «أن شهيدا من الشهداء قد نهض من التربة، ينعت بأصابعه الأمراض الاجتماعية. والمشاكل التي ناضل من أجل حلها .. »[3], وفي الحقيقة لقد شكل موضوع الشهيد في الواقع الاجتماعي الجزائري بعد الاستقلال موضوعا ثريا عملت الناقدة من خلاله على الاستعانة به كستار ؛ لطرح مختلف مظاهر الفساد التي استشرت بالوضع الاجتماعي الجزائري ، والتي أصبحت تعكس لصورة مجتمع مغيبًا تمامًا عن الساحة نتيجة هذا الانحلال في المبادئ التي حارب من أجلها الشعب الجزائري أثناء الاستعمار، كما أن الناقدة تعكس لنا صورة مجتمع قد أُفرغ من محتواه ومبادئه الثورية تماما وبدأ يواجه سياسة ملئ لأفكار جديدة.

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:11.
[2] عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية (دراسات ادبية ونقدية)، مرجع سابق، ص: 33.
[3] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:13.

إلّا أنّ الذي يظهر لنا من خلال هذه القراءة النقدية التي تبنّاها الناقدة هو عدم تجاوزها الطريقة الانتقادية لاستشراف حلول لمختلف هذه الأمراض الاجتماعية التي تسيطر على واقع المجتمع الجزائري.

وبعد طرح الناقدة لمختلف المظاهر الاجتماعية التي تعكس صورة المجتمع الجزائري ، والتي احترمت فيها التراسل والتدرج الزمني في عرض الأفكار التي تعبر عن الجانب الاجتماعي ؛ بدءًا من محاولتها لإبراز صورة المجتمع الجزائري أثناء الثورة التحريرية ، وصولا الى مرحلة بعد الاستقلال, وبداية ظهور مختلف الأمراض الاجتماعية المختلفة وانحلال المبادئ والقيم التي حارب المجتمع الجزائري من أجلها، مما أدى الى انتشار الخيانة؛ قد صحبتها رؤية اجتماعية أخرى والتي طرحتها الناقدة من خلال عرضها للجانب الاجتماعي الذي استطاعت أن تحتويه الكاتبة أحلام مستغانمي، لتوضّح لنا من خلاله الجانب المتأزم الذي أصبح يعيشه المجتمع الجزائري بفعل هذه الظاهرة الاجتماعية المتمثلة في الخيانة، وهذا ما تبينّه بقولها ، «للوطن الكبير والجميل أن ينبذهم، وأن يطردهم من مسيرة الجماهير، لأنهم يمثلون حركتها، ويستغلون طيبوبتها وسذاجتها، هؤلاء الذين يقتلون ويسجنون وينهبون»[1].

إلّا أنّ هذه القراءة التي طرحتها الناقدة، رغم أنها عملت فيها على إبراز صورة المجتمع الجزائري من جراء انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية المتمثلة في الخيانة ، إلا أنَها انحرفت نوعا ما عن المجال الذي تدور فيه الواقعية الانتقادية ؛ ويظهر ذلك من خلال محاولتها لتقديم البديل الذي يساعد المجتمع الجزائري على تجاوز هذه الحالة ، والمتمثل في طرد هؤلاء الخونة لأجل تنقية المجتمع الجزائري من نجسهم.

[1]زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:17.

وكان من نتائج انتشار كل هذه المظاهر الفاسدة في المجتمع الجزائري ؛ أن أدت بالضرورة إلى ظهور أمراض اجتماعية أخرى، تعكس لنا مدى الحالة الاجتماعية المتأزمة التي أصبح يعيشها المجتمع الجزائري؛ وهذا ما تشير إليه الناقدة عن طريق تناولها برؤية نقدية الشاعر "محمد أبو القاسم"؛ حيث تلفت النظر إلى ظهور مجموعة من الأمراض الاجتماعية, «مثل البيروقراطية والتسيب الإداريين الذين يعتمدون على الروتين حتى يجعلوا الشعب يتذمر ويمل الحياة اليومية» [1]، وهي كلها ظواهر كانت تعكس لنا مختلف جوانب التخلف والفساد الذي أصبحت تعيش فيه المؤسسات الجزائرية بعد الاستقلال، مما أدى بذلك الى انعكاس هذه الصورة على أطياف المجتمع الجزائري الذي أصبح يعاني من هذه الإجراءات البيروقراطية.

والناقدة بعد كل هذا تحاول الوصول بنا إلى نتيجة مفادها ، «أن وجود مثل هذه المشاكل معناها وجود بورجوازية طفيلية في مرحلة ما بعد الاستقلال تحتاج إلى قدرة لتعريتها وفضحها والى لغة حادة ولاذعة .. والى أسلوب جديد»[2].

إنّ هذهالرؤية النقدية التي تلفت إليها النظر الناقدة زينب الأعوج؛ تأخذننا إلى الاعتقاد بأن مختلف الجوانب الاجتماعية التي كانت تميّز المجتمع الجزائري بعد الاستقلال والأمراض الاجتماعية التي تشكلت فيه؛ هي نتاج تكون الطبقات البورجوازية بعد الاستقلال , وبداية فرضها لمجموعة من الأدوات التي كانت تصب في كفتها الاجتماعية وتُقصي الأغلبية الجماهيرية.

إلّا أنّ الذي يظهر لنا من خلال هذه القراءة النقدية التي تصور فيها الناقدة صورة المجتمع الجزائري المتجلّية في الواقعية الانتقادية، هو تجاوزها لهذا الطرح إلى محاولة تقديم الحلول لأجل

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:23.
[2] نفسه، ص:27.

تنقيّة هذا الواقع الاجتماعي والسير به إلى الأمام، وهذا ما يجعلنا نتساءل هل عملت الناقدة في هذا الشق على تقديم واقعية انتقاديه في المجتمع أم واقعية تتجاوزها إلى تقديم حلول لأجل الارتفاع بهذا الواقع؟.

وقد كان من جرّاء ظهور هذه الطبقة البورجوازية في المجتمع، أن ظهرت الفوارق الطبقية بين الأطياف المكونة للمجتمع الجزائري ؛ وهذا ما تعرض له الناقدة من خلال شعر "عبد الرحمن لوناس"، لتعمّق الحالة التي أصبح يعيشها المجتمع الجزائري؛ من جرّاء انتشار هذه الفوارق الطبقية، أين بيّنت في الأخير «أننا في عصر السرقات، عصر حكم الدولار وعصر المال والبهرجة، المال المنحوت من جلد الجماهير، المسروق من أحلامها المغتالة، وآمالها المحطمة ومن أمانيها التي استولى عليها تجار الثورة، وتجار الوطن المسروق الذين وجدوا أنفسهم بين يوم وليلة أرباب كل شيء ويمتلكون زمام السيطرة والسلطة»[1].

إن التحكم الكبير الذي أصبح يفرضه الجانب المادي في مختلف التعاملات الاجتماعية في هذه الفترة من حالة المجتمع الجزائري؛ دليل على ازدياد الفوارق الطبقية في المجتمع وارتفاعها, مما أدى بهذا الجانب إلى فرض نفسه في مختلف التعاملات التجارية التي كان يقوم بها أفراد المجتمع الجزائري في هذه الفترة. وبالتالي فإن الناقدة تحاول أن تلفت انتباهنا إلى أن المجتمع الجزائري في تلك الفترة كان خا ضعا في مختلف تجلياته وتعاملاته للجانب المادي , الذي كان بمثابة القاضي الذي لا تضاهيه سلطة.

ووسط هذه الجوانب الاجتماعية التي قدمتها الناقدة على شكل مرآة , تعكس فيها مختلف صور المظاهر الاجتماعية التي ميزت المجتمع الجزائري ؛ نجد أنها تنقلنا من خلال طرحها

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:36.

لموضوع الطفولة المهمَشة في المجتمع الجزائري؛ الى إثبات معاناة هذه الفئة من المجتمع التي تمثل عصب الأمة الذي تتحرك به إلى الأمام؛ وتأكيد حضورها هي الأخرى وسط هذا التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في هذه الفترة ، وهذا ما توضحه بقولها: «إن أطفال حمري بحري لا ينعمون بالراحة ولكنهم يبحثون عن حياتهم ضمن حدود علاقات سيئة وشقية جدا. يبيعون الحمص، في المقاهي والحانات من أجل الرغيف، وهذا ليس مكانهم بطبيعة الحال، فمكانهم الطبيعي في المدرسة في أماكن ثقافية ي جدون فيها أنفسهم ومستقبلهم»[1]، ولعلّ الناقدة من خلال إشارتها إلى هذا الوضع الذي كانت تتعرض له الطفولة في المجتمع الجزائري ؛ تريد أن تزرع فينا تلك النظرة التفاؤلية، التي تجعلنا نتفاءل بمستقبل أفضل للمجتمع الجزائري , رغم كل هذه المظاهر السلبية التي كان يعيشها المجتمع بعد الاستقلال. فالطفولة تبقى رمز للروح التفاؤلية للنهوض بهذا الواقع والتحول إلى حالة اجتماعية أكثر تقدما وتطورا مما هي عليه.

وبذالك نستطيع القول أنّ الناقدة قد اعتمدت في هذا الشق النقدي التي اتكأت فيه على الواقعية الانتقادية بشكل كبير في عرضها لبعض الجوانب الاجتماعية ، وإن كانت أحيانا قد انحرفت عن مبدأ الواقعية الانتقادية الى تجسيدها بمفهوم واعٍ نوعا ما، بالإضافة الى أنها في عرضها للجانب الاجتماعي الذي ميّز المجتمع الجزائري، قد اعتمدت التراسل في طرح الأفكار التي استطعت النّفاد من خلالها إلى عمق المجتمع الجزائري وعكسه في أصداء نقديَة انطلاقا من القراءة النقدية التي توصلت إليها الناقدة زينب الأعوج في معالجة التجربة الشعرية.

كما أنّها احترمت التدرج الزمني في طرح اللحظات التاريخية التي مرّ من خلالها المجتمع الجزائري، ولكنها بقيت في أحيان كثيرة محصورة في إطار الواقعية الانتقادية ؛ ولم تتجاوزها إلى

[1]زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:45.

تقديم الحلول للخروج من هذه الظروف الاجتماعية المطروحة إلا في أحيان قليلة وبإشارات قليلة جدا فقط، وربما هذا راجع إلى التزامها بالميدان الذي تدور فيه هذه الواقعية الانتقادية .

ثانيا . قضية المرأة:

إن صورة المجتمع الجزائري قد تبدّت كذلك من خلال المواضيع المتعلقة بالمرأة ، والتي طرحتها الناقدة في هذه التجربة النقدية الشعرية للاستدلال من خلالها على بعض المظاهر التي تعكس الحضور الذي ميز المجتمع الجزائري في هذه الفترة. ومن هنا نتساءل كيف انعكست صورة المجتمع الجزائري في مرآة المرأة الجزائرية ، وكيف تجلى حضوره من خلال مختلف القضايا التي عاشتها؟.

إن مختلف المشاكل التي كانت تطرحها الناقدة فيما يخص هذه الشريحة من المجتمع كانت شديدة الوصال بالحالة العامة للمجتمع الجزائري، ممّا أدى إلى أن تتمثل من خلالها صورة المجتمع الجزائري بصورة كلية، بالإضافة إلى أنها كانت تمثل موطنا ملائما للناقدة زينب الأعوج التي تمكنت من خلالها تجسيد بعض المظاهر التي تعكس حضور المجتمع الجزائري.

حيث تطرح الناقدة مجموعة من المواضيع المتعلقة في جانبها السطحي بالمرأة ، «من مشكل الزواج، إلى مشكل التعليم، إلى مشكل العلاقات الاجتماعية وانعكاسها على المرأة وعلاقتها مع الطرف الأخر»[1]، إلا أن المطلع على هذه المشاكل التي طرحتها الناقدة ، يستطيع أن يُكوّن من خلالها بواسطة نظرة نقدية متفحصة صورة عامة تعكس مظاهر المجتمع الجزائري آنذاك.

[1]زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:50.

فالناقدة تطرح مثلا من خلال ن ظرة "رشيد بوجدرة" قضية الزواج لدى المرأة وتبعاته في هذه الفترة من عمر المجتمع الجزائري ؛ وهذا ما توضحه عندما تشير إلى «اغتصاب المرأة بصك شرعي، دون مراعاة لشعورها وإنسانيتها وأنوثتها»[1]، نفهم من خلال هذه الآراء النقدية التي تطرحها الناقدة حول هذه القضية الاجتماعية ، أنها تعكس غياب الثقافة الاجتماعية في التعامل مع المرأة في المجتمع الجزائري آنذاك, نتيجة مختلف العادات الاجتماعية المتوارثة من الأجداد ، ولعلّ هذه النتيجة التي تتبدى لنا من خلال هذه القراءة النقدية هي بمثابة المظهر السطحي فقط الذي تتجلى من خلاله صورة هذه الشريحة من المجتمع الجزائري.

أما الجانب العميق الذي تعكسه هذه القضية فهو يتمثل في سياسة الاستبداد والقمع التي كانت تمارسها السلطة السياسية في حق المجتمع الجزائري، حيث يمكن أن نمثل لها من خلال هذه القضية التي تطرحها الناقدة بأن الزوج يمثل السلطة السياسية المتحكمة في المجتمع في تلك الفترة، أما المرأة فتمثل أغلبية المجتمع الذي يخضع لهذه السلطة السياسية. وبالتالي فإن الناقدة تعمل على تصوير هذا الاغتصاب الذي كانت تمثله السلطة لمختلف الفئات الاجتماعية التي كانت تحكمها، حيث جعلت المشاكل والظروف التي كانت تعيشها المرأة كستار للتعبير عن هذا الوضع الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري بصفة عامة.

وغير بعيد عن هذا تشير الناقدة إلى حرمان هذه الشريحة من المجتمع من حقَها في التعليم ، وهذا ما توضحه من خلال قولها «وأن الفتاة بمجرد ظهور بوادر أنوثتها، يلق رونها أن ابنة العائلة الحقيقية يجب أن تسمع كل ما يقوله الأهل وتأخذ به، وأن الفتاة ليست في حاجة إلى تعليم، إلى ثقافة، إلى شهادات وليست في حاجة إلى العمل، وحياتها ومستقبلها في مكانها الطبيعي الذي هو

[1]زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:50.

البيت بسمك جدرانه، وضيق أبوابه، وأن حياتها لا تتعدى الأطفال والزوج» [1]، وقد استغلت الناقدة قضية المرأة وحرمانها من التعليم بصفة خاصة لتعكس الصورة الاجتماعية العامة التي يمثلها الجهل، الذي كان يخيم على أغلبية المجتمع الجزائري بصفة عامة ، وهو ما تشير إليه الناقدة من خلال عرضها للجهل الذي يبثه "رشيد بوجدرة" في إحدى أبياته، وهو ما تبلوره الناقدة برؤية نقدية تجسد من خلاله «الجهل، الذي يسكن نسبة كبيرة من الجماهير في الوطن العربي، هذه الجماهير التي أهملت ، وهذه البلدان التي أخر شيء يفكر فيه حكامها هو الثقافة، لأن الجهل والبداوة يعشعشان في أدمغتهم»[2].

ولعل الذي يتضح لنا من خلال هذا أن الناقدة قد اعتمدت على صورة المرأة لتعكس من خلالها مجموعة من القضايا تترجم واقع المجتمع الجزائري ، وتُجسَد مختلف المشاكل التي كانت تنمّ عن الجانب الاجتماعي الذي كان يتخبط فيه المجتمع الجزائري

ثالثا . الواقعية الاشتراكية:

إن مختلف القضرايا الاجتماعية التي طرحتها الناقدة من خلال الواقعية الانتقادية والتي انعكست على تمثيل وتجسيد الحضور الاجتماعي الذي ميز المجتمع الجزائري ، قد ساعدت هي الأخرى في النهاية كذلك على ظهور بوادر واقعية جديدة ، تعكس مظاهر المجتمع الجزائري في ديناميكيته وتطوره نحو مستقبل خالي من مختلف هذه الأمراض والقضايا الاجتماعية المطروحة من قبل الواقعية الانتقادية ، وتكوين صورة لمجتمع جديد تنمحي فيه هذه المشاكل التي تخبّط فيها

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:55.
[2] نفسه، ص:60.

المجتمع الجزائري في ضلّ القراءة التي طرحتها الناقدة في توجُّه الواقعية الانتقادية. فكيف تبدّت صورة المجتمع الجزائري من خلال هذه الواقعية الجديدة التي عرفت بالواقعية الاشتراكية؟

تبدأ الناقدة زينب الأعوج في هذا الشق الخاص بالواقعية الاشتراكية بتحديدها للحدود التي تميز الواقعية الاشتراكية وضبط مجالها، حيث تقول «أما ما يهمنا هنا أساسا هو الشاعر الواقعي، والواقعي الاشتراكي بالتحديد الذي يربط مصيره بمصير الجماهير، نتحدث عن الشاعر الطامح إلى المستقبل الجميل، والذي يساهم هو في حد ذاته في التغيير» [1]، وانطلاقا من هذا الطرح النقدي الذي تشير إليه الناقدة، يتضح لنا بأنها ستعمل على التعبير عن مختلف المظاهر الاجتماعية التي تتمثل في تحول المجتمع الجزائري نحو مستقبل اشتراكي خالي من كل الأمراض التي كانت تسيطر على المجتمع الجزائري.

فهاهي الناقدة تحاول مثلا من خلال شعر "عبد الرحمن لوناس"، أن تجسد الوضع الذي كانت تعيشه أغلبية الجموع الجزائرية ويظهر ذلك من خلال قولها ، «فشعره يعبر عن الحقد، عن التمرد والثورة، عن الخوف والألم والتذمر التي تعاني منه الجماهير فشعره هو الأرض، هو الرؤية المستقبلية، هو جديد الجديد»[2].

إنّ الناقدة زينب الأعوج تحاول من خلال هذه اللمسات التي تطرحها أن تمنحنا رؤية تعبر من خلالها عن بداية دخول المجتمع الجزائري إلى مرحلة جديدة، هي مرحلة الثورة على كل هذه الأوضاع القديمة وطرقه لأبواب الواقعية الاشتراكية التي نادت بها الفلسفة الماركسية التي تبقى المخرج الوحيد لهذه الطبقة للتخلص من معاناتها.

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:74 – 75.
[2] نفسه، ص:76.

وتواصل الناقدة العزف على نفس الأوتار ، فها هي تؤكد في موضع آخر من خلال طرحها للرؤية النقدية التي يحملها شعر أحلام مستغانمي فتقول: « إن الناس عند أحلام ليسو في حاجة إلى المديح والكلمات المعسولة ولكن في حاجة إلى الكلمة، إلى الفعل، الكلمة الثورية التي تدفع بالإنسان البسيط إلى القمة، أي تدفع به إلى النضال من أجل حل حقيقي لمشاكله اليومية» [1]، لتجسد بذلك الناقدة صورة المجتمع الجزائري في تطوره نحو المستقبل المشرق الذي تحكمه الواقعية الاشتراكية، إلا أننا نلاحظ أن الناقدة في هذا الطرح الجديد الذي تطرحه حول الواقعية الاشتراكية كانت أفكارها النقدية شديدة الارتباط بالثورة ، مما يدل على أن المجتمع في هذه الفترة كان على فوهة بركان؛ أي أنه كان على كامل الاستعداد لدخول هذا الواقع الجديد بكل ما يحمله من مظاهر جديدة ترتفع به عن هذه الأوضاع الاجتماعية القديمة.

ولعل التاريخ الذي يحفل به المجتمع الجزائري مع المستعمر سيكون هذه المرّة في صالحه ، وهذا ما توضحه الناقدة بقولها: «إن الجزائر وجدت قبل القمع، وقبل الذين يخنقون الأنفاس وهي بالتالي تمتلك أزليتّها من قدرتها على مقاومة الشرور الاجتماعية عبر الحقب الزمنية المتلاحقة» [2]، حيث تعكس لنا الناقدة تلك النظر ة التفاؤلية، التي تحمل في طياتها تحقيق المستقبل الاشتراكي للمجتمع الجزائري، ويظهر ذلك من خلال إشارتها إلى تاريخ المجتمع الجزائري الضارب في القدم ، والذي استطاع التغلب على كل التحديات التي مرت عليه على مرّ التاريخ وإثبات وجوده في الأخير، مما يشفع له في هذا الزمن على تحقيق الانتصار الذي سيأتي مع مرور الوقت ؛ وهو الانتصار المتمثل في تحقيق المستقبل الاشتراكي.

[1] زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دراسة نقدية . مرجع سابق، ص:77.
[2] نفسه، ص:84.

وبعد هذه النماذج التي طرحتها الناقدة في إطار الواقعية الاشتراكية نستطيع القول ، أن ما يهمنا من هذ ه القراءة النقدية التي تطرحها الناقدة في إطار الواقعية الاشتراكية وفي مجال تمثيلها للحضور الاجتماعي الذي ميَز المجتمع الجزائري في هذه الفترة ، أنَها كانت في خلاصتها تدور على تجسيد صورة المجتمع الجزائري في تحوّله عن طريق الثورة نحو تحقيق المستقبل الذي تنصّ عليه الواقعية الاشتراكية، والتي يجسدها مجتمع خالي من كل هذه المشاكل والأمراض الاجتماعية التي أشارت إليها الناقدة في إطار الواقعية الانتقادية. وهذا ما أدى بتحول ن ظرية الانعكاس من التعبير عن المجتمع في طبيعته السكونية الى التعبير عن المجتمع في اتجاهه التطوري نحوى الواقعية الاشتراكية.

وكخلاصة عامة لهذه القراءة التي قامت من خلالها الناقدة بمعالجة بعض القضايا التي مثلت مظاهر مختلفة لصورة المجتمع الجزائري، يمكن القول بأنها قدمت دراسة تحليلية فقط ولم تجاوزها الى تقديم وتمثُّل آراء تعكس فيها الروح النقدية التي تليق بمصاف القارئ النقدي المحترف الذي يصول ويجول بين ثنايا التجربة الشعرية، وهو يمثّل مختلف الجوانب الاجتماعية التي يعرض لها بالدراسة والتحليل، عن طريق النّفاد الى عمق المجتمع الجزائري والتعبير عنه في آراء وتأملات نقدية، تُبين عن حجم الثقافة الموسوعية التي من المفروض أن تكون ميزة أساسية لدى الناقد الذي يسعى الى التعمق في عرضه لمختلف الجوانب السوسيولوجية التي تعكس صورة المجتمع.

2 – المجتمع / النقدي المسرحي:

لقد اهتم بالمسرح الجزائري الكثير من النقاد الجزائريين نذكر على سبيل المثال منهم صالح مباركية حنفي بعلي نوال طاهرة أحمد ثليلاني جروة علاوة وغيرهم، غير أنني ومن خلا ل إطلاعي على بعض الدراسات النقدية في المسرح وقع اختياري على ناقد جزائري له اسهامات عديدة في مجالي الثقافة والاتصال وهو الأستاذ مخلوف بوكروح، ويمكن اعتبار دراسته المعنونة بـ المسرح والجمهور – دراسة في سوسيولوجيا المسرح الجزائري ومصادره – من أهم المباحث التي اختصت بالبحث في سوسيولجية المسرح الجزائري.

لقد استطاع مخلوف بوكروح من خلال دراسته أن يتمثل الواقع الاجتماعيّ « وذلك ب "النّفاذ" الى هذا المجتمع والكشف عن تناقضاته» [1] وتمثيله في ترسيمة نقدية انعكست في مرآتها صورة المجتمع الجزائري.

مما أدى بي الأمر كناقد متعطش أستهدف تطوير الدراسة السوسيولوجية الى الإعتكاف على تحليل هذه القراءة النقدية من الزاوية الاجتماعية التي قام الناقد بطرحها ، وتحقيق أكثر تمثُّل للحضور الاجتماعي التي ميّز الواقع الجزائري.

وقد قسم الناقد دراسته هذه الى فصلين تناول في الفصل الأول مصادر الإنتاج المسرحي وموضوعاته، أما الفصل الثاني فكان عبارة عن دراسة إحصائية تناول فيها مجموعة من المتغيرات ودورها على التوزيع الزمني للعروض وتحكمها في إقبال الجماهير.

وبما أنني أحاول في هذه الدراسة أن استخلص صورة المجتمع الجزائري فقد ارتأيت أن أركز على موضوعات الإنتاج المسرحي التي يطرحها الناقد. حيث قسمها الى نوعين:

---

[1] الذهبي اليوسف: الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، الجمهورية التونسية، ط1 ، م2016 – 1437هـ، ص: 324.

أولا – المسرحيات التي تناولت الثورات التحررية بصنفيها الثورة التحريرية الجزائرية والحركات التحررية.

ثانيا – المسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي والتي قسمها الناقد الى نوعين: المسرحيات التي جسدت الصراع الاجتماعي والأخلاقي النفسي.

وهذا ما سنتناوله بشئ من العرض النقدي في هذا المبحث.

فكيف تجلى حضور المجتمع الجزائري من خلال هذه القراءة النقدية التي يطرحها الناقد لموضوعات الإنتاج المسرحي؟

أولا– قراءة الناقد للمسرحيات التي تناولت الثورات التحررية:

من المعروف بين الباحثين أن الثورات التحررية تُعتبر أكبر مُلهم يغترف منه الأدباء في إخراج مختلف أعمالهم الإبداعية وإبرازها الى الوجود، بل وأكثر من ذلك تعتبر الثورات التحررية محطة أساسية في تجديد الفكر الفلسفي واستبداله بفكر جديد يتماشى وتطورات العصر، وبين هذا وذاك كان للكتاب المسرحيين ومن بعدهم النقاد دور في التعبير عن هذه الثورات التحررية.

ولما كان من الطبيعي أن مختلف الثورات هي استجابة لتطلعات مجتمع معين من المجتمعات، فإنه لاشك أن النقاد المسرحيين في قراءتهم للأعمال المسرحية سيعملون على تمثيل بعض الجوانب الاجتماعية التي تجسد جانب من هذا الاجتماع العام الذي ميّز هذه الثورات التحررية.

أ – الثورة التحريرية الجزائرية:

لقد شكلت الثورة التحريرية في الواقع الجزائري مددًا لا ينضب, حيث عمل الكتاب المسرحيين على العودة دائما الى هذا الينبوع لاستسقاء موضوعاتهم، وتجسيدها في لوحات تعبر عن عمق المجتمع الجزائري في محنته هذه التي مر بها، ولاشك أن النقد الذي يتتبع هذه النصوص

المسرحية سيحمل هو الآخر بذورا اجتماعية سيجد المتفحص والدارس لها صورة واضحة يستطيع من خلالها النّفاذ الى عمق المجتمع الجزائري والتعبير عنه بصورة تتراجع فيها الأيديولوجيات مقارنة بالنص المسرحي ، «فالناقد آخر الأمر أديب بأدق معاني الكلمة، والنقد آخر الأمر أدب بأصح معاني الكلمة أيضا، وربما أتيحت للناقد مزايا لا تتاح للأديب المنشئ فالناقد مرآة لقرائه كالأديب، والقراء مرآة للناقد، كما أنهم مرآة للأديب أيضا، ولكن الناقد مرآة صافية واضحة جلية كأحسن ما يكون الصفاء والوضوح والجلاء»[1].

وقد كانت هذه الإمتيازات التي تحفل بها الدراسة النقدية، من بين الأساسيات التي جعلتها مطمح كل البحوث التي تتوخى تحقيق أكثر دراسة مُمنهجة في التعامل مع الجوانب السياقية (الاجتماعية) التي يحفل بها العمل الأدبي؛ ويسموا من خلالها الى منزلة عالية في السموات التي تضل المبدع والإبداع والقارئ، باعتبار أن النقد مرآة تجمع بين أضلاع المثلث الخاص بالعملية الإبداعية "المبدع، الابداع، القارئ" وبالتالي يصبح النقد يتمتع بمواصفات تجعل منه عن حقٍ المُحقق لهذا المسار الإبداعي ليحقق له كماليته.

وانطلاقا من هذه المزايا التي تتسلح بها الدراسة النقدية, رحت استقصي قراءة الناقد مخلوف بوكروح للنصوص المسرحية التي جسدت الثورة التحريرية لإستخراج بعض الجوانب التي كانت تميز المجتمع الجزائري أثناء الثورة. فكيف انعكست صورة المجتمع الجزائري في قراءة الناقد لهذه النصوص المسرحية؟.

إن أول قراءة نقدية يستهلّ بها الناقد دراسته للنصوص المسرحية التي جسدت موضوع الثورة التحريرية، كانت قراءته لمسرحية "أولاد القصبة" لعبد الحليم رايس حيث حاول أن يبرز من خلالها

[1]طه حسين: فصول في الأدب والنقد، القاهرة، جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، المشهرة برقم 7266 بتاريخ 26/ 08/ 2012 ، ص: 11.

دور الاسرة الجزائرية في الثورة التحريرية ، من خلال مشاركاتها في مختلف الأعمال النضالية التي كانت تجري في المدينة.

كما يطرح الناقد درجة الوعي الاجتماعي التي كانت تتميز به هذه الشريحة من المجتمع, وهذا ما يوضحه بقوله: «تعتبر عائلة "أولاد القصبة" نموذجا مصغرا للنضال الذي خاضه الشعب الجزائري داخل المدن وتبين مدى تغلغل الثورة في الأوساط الشعبية ممثلة في اهتمام كل أفراد العائلة بما يجري على الساحة، بما فيها الأم الذي تحول قلقها على أبنائها الى وعي بحقيقة الثورة»[1].

لقد شغلت الأسرة الجزائرية موقعا مميزا في الثورة التحريرية من خلال الأعمال النضالية التي كانت تقوم بها في المدينة؛ والتي أبانت في جوهرها عن الوعي الكامل لهذه الشريحة من المجتمع اتجاه الثورة التحريرية.

ولم تكن قراءة الناقد لمسرحية "حسان طيرو" لرويشد بعيده عن قراءته لمسرحية "أولاد القصبة"، حيث ركز الناقد من خلالها على تصوير الوعي الثوري الذي كانت تتمتع به الأسرة الجزائرية في المدينة, إلّا أنّ الناقد ينفرد نوعا في قراءته لهذه المسرحية بالتركيز على حضور الفئات الهامشية في المجتمع هي الأخرى، ليخلق بذلك الناقد لدينا صورة راقية تُبِين عن مدى التفاف مختلف الأطياف المكونة للمجتمع الجزائري حول ثورته, وهو ما يوضحه بقوله: «إذ شملت الثورة مختلف الفئات الاجتماعية، حتى الفئات التي كانت تعتبر في نظر المجتمع هامشية، تجسدها شخصية في هيئة السكير وحمله للأسلحة.»[2].

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره، ص: 25 26.
[2] نفسه، ص:26.

إضافة الى أن الناقد لم يغفل الدور الفاعل الذي كانت تُشكله المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية من خلال مواقفها المعبرة عن مساندتها الكبيرة للكفاح المسلح، وهو ما نسجله من خلال إشارة الناقد الى«شخصية زكية في صمودها أمام تعنت الجيش الفرنسي في البحث عن الفدائي المختفي في البيت، وتشجيعها لزوجها وهي إشارة الى دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية»[1]

وهو بمثابة تأكيد على الدور الأساسي الذي كانت تلعبه المرأة أثناء الثورة التحريرية في المدينة، وإخفائها للفدائيين في البيت بدون خوف على حياتها، وهذا كله دليل على إيمانها الكامل بالثورة التحريرية.

وقد جاءت قراءة الناقد مخلوف بوكروح لمسرحية "العهد" لكي تصور«تضحية الانسان الجزائري التي لم تكن لها حدود في سبيل الحرية ...إن التفكير في اعدام الطفل خوفا من أن يبوح بأسرار الثورة دليل على استعداد الثوار للتضحية بكل شيء» [2]، إن مشاركة طبقة الأطفال في الثورة؛ والتي تعتبر في العرف الاجتماعي طبقات هامشية، وتقديمها هي الأخرى لتضحيات يُبرز لنا حجم المعاناة والمأساة التي كانت تتعرض لها هذه الفئة من المجتمع في سبيل استمرار الثورة وتحقيق النصر في النهاية.

وقد عادت صورة المرأة مرة أخرى للظهور من خلال قراءة الناقد لمسرحية "احمرار الفجر" لأسيا جبار؛ وهو ما يوضحه بقوله «في مسرحية احمرار الفجر تطرح الكاتبة آسيا جبار جانبا من مشاركة الشعب الجزائري في الثورة من خلال عائلة جزائرية شارك فيها إبنها في المقاومة ثم تلحقه

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره، ص: 27.
[2] نفسه ، ص: 27.

أخته التي وجدت رفضا من قبل أبويها، وبهذا تبرز المسرحية دور المرأة الجزائرية ومساهمتها في الثورة»[1].

أحداث 8 ماي 1945 بما تميزت به من مظاهر اجتماعية تعكس صورة الشباب الجزائري الرافض للاستعمار الفرنسي كانت حاضرة هي الأخرى، حيث تظهر في قراءة الناقد لمسرحية "الجثة المطوقة" لكاتب ياسين ، أين يتطرق في قراءته لهذه المسرحية الى «موضوع المقاومة من خلال أحداث 8 ماي1945، وتصور جثة البطل الذي يرمز الى جيل كامل من الشباب مقيد بمجموعة عوامل منها التقاليد الاجتماعية في صورة صراع بين الأجيال، وصراع مع الاستعمار، وما هذيان لخضر وانتقاله من الحلم الى اليقظة إلا صورة معبرة عن طموح الشباب الرافض للاستعمار»[2]،

لقد شكلت هذه المظاهرات نقطة هامة في مسيرة الثورة التحريرية، حيث ساهمت في إعطاء صورة معمقة وواضحة عن تجليات الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري, بالإضافة الى أنها كانت تعبيرا واضحا عن مطمح المجتمع الجزائري في تحقيق الاستقلال, حيث خرج يهتف بالحرية غير آبه بالمستعمر وممارساته الوحشية.

أما قراءة الناقد لمسرحية الريح لمولود معمري فقد حاول أن يتوصل من خلالها الى تمثيل«لحظة صراع الانسان الجزائري ومعاناته،وهو يواجه تسلط المستعمر ونهبه لخيراته واستغلاله»[3]، إن الناقد هنا يحاول أن يجسد قضية هامة كانت مطروحة في أوساط المجتمع الجزائري في تلك الفترة ألا وهي قيام المستعمر الفرنسي باستجلاب مجموعة من المعمرين لأجل

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:28.
[2] نفسه، ص: 28.
[3] نفسه، ص:29.

استيطان الأراضي الجزائرية وتعميرها، وقد عمل الناقد من خلال قراءته النقدية على تجسيد ذلك الصراع ورفض فئات المجتمع الجزائري لهذه الفئة المعمرة التي أتى بها المستعمر.

ويمكن القول بأن الناقد أثناء قراءته لمختلف النصوص المسرحية التي تناولت الثورة التحريرية، كان يركز على إبراز الجانب الاجتماعي الذي يعكس تلك اللّحمة الاجتماعية التي كانت تميز المجتمع الجزائري إبّان الحقبة الاستعمارية، حيث يلخص لنا الناقد كل ذلك بقوله: «وقد عالجت المسرحيات التي تناولت الثورة التحريرية موضوعات من وجهة نظر مختلفة ومتباينة، البعض منها ركز على العمل الفدائي في المدن مثل مسرحيتي"أولاد القصبة" لعبد الحليم رايس، و "حسان طيرو" لرويشد. والبعض الآخر ركز على الكفاح المسلح في القرى والأرياف مثل مسرحيتي "الخالدون والعهد" لعبد الحليم رايس، واهتمت بعض المسرحيات بموضوع المقاومة الوطنية التي توجت بثورة تحررية وجدت صدى على الصعيد الداخلي والخارجي تمثلها ثلاث مسرحيات(الجثة المطوقة، لكاتب ياسين، احمرار الفجر لاسيا جبار والريح لمولود معمري)»[1].

ب – الحركات التحررية:

وعلى نفس المسار وفي ضلال النقد يواصل الناقد مخلوف بوكروح في عرضه للجوانب الاجتماعية التي كانت تميز المجتمع الجزائري, انطلاقا من قراءته لبعض المسرحيات التي طرحت موضوع الحركات التحررية في العالم، وهذا في الحقيقة يجعلنا نستغرب لمحاولة الناقد الإبحار في تحليل هذا النوع من المسرحيات الخارجة عن الحدود الجزائرية وان كانت بقيت أحيانا تدور في فلك القارة الافريقية. ولكن هذا التساؤل ما يلبث أن يفارقنا عندما نلج الى القراءة النقدية التي توصل اليها الناقد من خلال قراءته لبعض هذه المسرحيات، حيث نجد أنها كانت تحمل في ثناياها

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:25.

مجموعة من القضايا ساهمت في تزويدنا ببعض المظاهر التي انعكست في مرآتها صورة المجتمع الجزائري.

فكيف تجلّت صورة المجتمع الجزائري في قراءة الناقد لهذه النوع من النصوص المسرحية؟

يعرض لنا الناقد من خلال قراءته لمسرحية «"افريقيا قبل سنة" لعبد الرحمان كاكي" بعض الجوانب من نضال الشعوب الافريقية في مواجهتها للاستعمار الأجنبي وكفاحها ضد مخلفاته، مجسدا في اللافتات والملصقات التي تعرض عناوين وصورا عن ممارسات الاستعمار في هذه القارة، مستعرضة المراحل التي شهدت فيها أحداثا وانتفاضات كبرى. ولم تكتف هذه الصور باستعراض هذه المراحل، ولكنها أشارت الى مخاطر الاستعمار المستقبلية إذا لم تتحد شعوب هذه القارة.»[1].

إن هذه الموجة الإنتقادية الواعية التي حملتها قراءة الناقد لهذه الواقع الاستعماري الذي كانت تعيشه الشعوب الافريقية، تعبر لنا عن مدى تفاعل المجتمع الجزائري مع هذه الحركات التحررية، وتجسد لنا موقفه الداعم لها في سبيل تحقيق الاستقلال ونيل الحرية؛ كما تدعوا شعوب هذه القارة الى وضع تكتلات تعمل من خلالها على مجابهة هذا الواقع الاستعماري.

كما نتوصل من خلال هذه القراءة أيضا الى تمثُّل الجانب الواعي للمجتمع الجزائري في تلك الفترة. وهو ما يوضحه الناقد مخلوف بوكروح بقوله: «إن تقديم مسرحية تتناول الاستعمار في القارة الافريقية في هذه الفترة ذو دلالة هامة، فهي من جهة تعبير عن موقف كاتب جزائري وموقف الجزائر إزاء قضايا القارة، ومن جهة أخرى تقديمها مرتبط بالتحولات التي شهدتها القارة على صعيد

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:30.

التحرر مع بداية الستينات، كما صادف تقديمها انعقاد مؤتمر أديس أبيبا. فضلا عن دعوتها الى التحرر والاتحاد»[1]

وبعد تمثيل الناقد للوعي الاجتماعي الذي كان يميز المجتمع الجزائري من خلال قراءته لمسرحية "افريقيا قبل سنة" هاهو ينقلنا الى موضوع آخر من خلال قراءته لمسرحية الكاتب البلجيكي توم برون "الكلاب" حيث يشير الى موضوع التمييز العنصري الذي كان مطروحا في القارة الافريقية وهو ما يوضحه بقوله: «تناول الكاتب البلجيكي تون برون في مسرحية "الكلاب" التي تدور أحداثها في جنوب إفريقيا، موضوع التمييز العنصري من خلال عائلة الاقطاعي التي تعيش في جو من العنف يسود بين أفرادها ... ويكشف عن سياسة التمييز العنصري، والفوارق العرقية التي ما انفكّ الانسان الأفريقي يكافح ضدها للتخلص من العبودية، كما توحي المسرحية أن مصير افريقيا يكمن في الإنفجار كما إنفجرت عائلة الاقطاعي»[2].

وفي الحقيقة لقد شكل موضوع التمييز العنصري موضوعا ثريا في مختلف الأعمال النقدية المسرحية، حيث حاول النقاد ربطه بجوانب اجتماعية معينة لتجسيد قضايا متعلقة بمختلف الحيثيّات التي كان يعيشها المجتمع الجزائري، إلّا أنّ هوكما يتبيّن لنا هنا يحاول الناقد مخلوف بوكروح أن يشير من خلاله الى المظاهر الطبقية التي كانت منتشرة في المجتمع الجزائري, لكي يسهل له في الأخير تسريب الأفكار الثورية لدى أفراد الطبقة البروليتارية للثورة على الفئات الاقطاعية، وتحقيق مستقبل خالي من مختلف التمايزات الطبقية فالتمييز العنصري الذي يطرحه الناقد هنا ما هو إلّا تعبير عن تفشي المظاهر الطبقية في المجتمع الجزائري.

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره، مرجع سابق، ص: 30.
[2] نفسه، ص: 31- 32.

ثانيا– المسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي

ولقد كانت صورة المجتمع الجزائري المبثوثة في تضاعيف قراءة الناقد للمسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي، بمثابة امتداد للرؤية النقدية التي رسمها الناقد أثناء معالجته للمواضيع المسرحية التي جسدت الثورة التحريرية وهو ما يوضحه بقوله : «ورغم أن المسرحيات المدرجة في صنف المسرحيات المواكبة للتغيير الاجتماعي تختلف عن المسرحيات السابقة التي تناولت موضوع الثورة التحريرية إلا أنها اتسمت هي الأخرى بطابع التغيير الاجتماعي الذي هو امتداد للثورة التحريرية التي أعادت للجزائر سيادتها الوطنية واستقلالها الذي لم ينتهي عند هذا الحد بل يتجاوز ذلك بتوسيع وتدعيم الانتصارات الذي حققها الكفاح المسلح لبناء وتشييد مجتمع جديد»[1].

مما أدى بالنقاد المسرحيين هم كذلك في هذه المرحلة الجديدة من الواقع الاجتماعي الجزائري، أن يتكيفوا مع المواضيع الاجتماعية التي طرحتها النصوص المسرحية, وأن يبرزوا الجوانب الاجتماعية التي احتوتها هذه النصوص المسرحية، وهذا ما سعى اليه مخلوف بوكروح من خلال تناوله لبعض النصوص المسرحية التي تُبين مختلف الصراعات التي شهدها المجتمع الجزائري في هذه المرحلة الجديدة.

هذه المرحلة التي يرى الناقد أنها كانت مرتبطة بمجموعة من الظروف العامة التي بدأت تفرض نفسها على الحياة الجديدة في المجتمع الجزائري، وهو ما يوضحه بقوله: «وقد بدأت التجربة المسرحية الجديدة بعد إنشاء المسرح الوطني الجزائري تفصح عن معالم التغيير الاجتماعي فالتفت المسرح إلى رصد تجربة الجزائر في ميدان البناء والتشييد في الاستقلال وقد جاءت موضوعات هذه المسرحيات متباينة، بعضها تناول مواضيع اجتماعية والبعض الآخر تناول الظواهر النفسية والأخلاقية المصاحبة لعملية التغُير الاجتماعي، وتعبر في معظمها على الثورة الاجتماعية على

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:33.

العادات والتقاليد السلبية وتدعو إلى إحداث تغيرات جوهرية في أخلاقيات وسلوك الإنسان الجزائري»[1].

وانطلاقا من هذا الزخم الكبير في المواضيع الذي بدأ يفرض نفسه على المجتمع الجزائري فقد ارتأى الناقد في دراسته لها تقسيمها الى نوعين:

أ– المسرحيات التي جسدت الصراع الاجتماعي:

تطرق الناقد أثناء قراءته لهذا النوع من المسرحيات الى مجموعة من المواضيع التي كانت مطروحة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، فمثلا يتوصل الناقد أثناء قراءته لمسرحية "الغولة" لرويشد, الى تمثيل قضية الوطنية الزائفة التي كان يتمثل بها بعض الأفراد المسئولين مما أدى الى انتشار المصلحية والخيانة والانتهازية في أوساط المجتمع الجزائري في هذه الفترة، وهو ما يوضحه بقوله: «إن الغولة في هذه المسرحية هي رمز للمناضل المزيف المناهض للثورة الذي يستغل الفرص لتحقيق أغراضه على حساب المصلحة العامة، وهو عندما يسلك هذا الطريق يرتكب أخطاء في تسيير المؤسسة التي يرأسها، ويتحول عمله الى إجراءات بيروقراطية فوضوية، تنعكس بصورة سلبية على مردود المؤسسة، وهي إشارة إلى المتحايلين على القوانين إلى حد تزوير بيان المناضل الذي يشارك في الثورة التحريرية وهي مظاهر عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.»[2].

وهذه إشارة واضحة لصورة المجتمع الفوضوي الذي أصبح عليه الواقع الجزائري غداة الاستقلال, حيث حلت المصلحة الفردية محل المصلحة العامة وأصبح كل فرد يعمل لحساب مصلحته على حساب المصلحة العامة للمجتمع، فتلاشت المبادئ والقيم النزيهة التي حارب الشعب الجزائري من أجلها، وحلت محلها مختلف الأمراض التي انعكست بالسلب على حالة المجتمع

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره، مرجع سابق، ص:33.
[2] نفسه، ص:34.

الجزائري في تلك الفترة، كانتشار التزوير وإسناد المناصب الإدارية الى غير أهلها مما أدى كل ذلك الى إنعكاسه على المردود الإنتاجي لمختلف المؤسسات الوطنية.

يواصل الناقد في تصويره للمواقف التي كانت تعكس الوضع الاجتماعي للمجتمع الجزائري في تلك الفترة، حيث تطرق الناقد في مسرحية "البوابون" لنفس الكاتب الى تمثيل صورة المجتمع الجزائري في المدينة، ومختلف التعاملات الى يفرضها عليه هذا المكان؛ وما يحتويه من مرافق تعكس الجانب المتطور الذي وصل اليه المجتمع الجزائري. وهو مايوضحه بقوله: «تشترك مسرحية "البوابون" مع "الغولة" في استلهام موضوعاتها من الواقع الاجتماعي...فهي تستعرض الواقع اليومي للمدينة كالسكن والحركة المرورية والسير والتموين، وأوقات الفراغ وغيرهما من المشاكل التي أفرزتها البنية الحضارية الناتجة عن الكثافة السكانية، وعن الفوضى في المدينة.»[1].

فالواقع الاجتماعي في المدينة الذي يتميز بالكثافة السكانية العالية ، جعلته يساهم في خلق مشاكل في الجانب المعماري، كما أضفى حركة مكثفة على خطوط السير , بالإضافة إلى زيادة الحركية بالنسبة للجانب التجاري ، وكل هذا كان حاضرا في القراءة النقدية التي قدمها مخلوف بوكروح لهذه النصوص المسرحية التي كانت تهدف من وراءه للتعبير عن واقع المجتمع الجزائري في هذه الفترة فيما يخص وضعه الاجتماعي في المدينة، وتزويدنا بصورة تعكس لنا واقع المجتمع الجزائري انطلاقا من هذه الشبكة الجديدة التي شكلتها ظروف المدينة.

ومن هذا الواقع الاجتماعي الذي كان يفرض نفسه على المجتمع الجزائري في المدينة والذي كان من نتائجه حصول التضخمات في كل المجالات، ينقلنا الناقد من خلال قراءته لمسرحية غرفتين ومطبخ لعبد القادر السفيري الى تصوير ظاهرة النزوح الريفي التي شكلت بعد الاستقلال مشكلا كبيرا باعتبار أن كافة المجتمع الجزائري قد إختار التوجه الى المدينة.

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:35.

وكأن الناقد يحاول أن يستدرك من خلال قراءته لهذه المسرحية، ليبرّر لنا سبب المشاكل الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري أثناء عرضه للقراءة التي شملت المسرحيتين الماضيتين في تمثيلهم لصورة المجتمع في المدينة؛ والتي كانت من جراء هذه الظاهرة (ظاهرة النزوح الريفي).

وهو ما يتوصل اليه من خلال قراءته لمسرحية غرفتين ومطبخ؛ حيث يقول: «تطرق عبد القادر السفيري في مسرحية "غرفتي ومطبخ" إلى موضوع اجتماعي عانته الجزائر بعد الاستقلال يتمثل في النزوح الريفي وجسدته المسرحية في صورة الممرض الذي يترك عمله وبيته في الريف ليلتحق بالمدينة أملا في العثور على الجنة على حد تعبيره، ولكنه يصطدم بالواقع ويجابه مشاكل كبيرة تؤدي به إلى الندم والعدول عن رأيه، ولكن بعد فوات الأوان»[1].

لقد تميزت مرحلة ما بعد الاستقلال بظاهرة النزوح الريفي ، حيث تحول المجتمع الجزائري من الريف إلى المدينة طمعا في العيش الهنيء؛ فالمدينة بما كانت تحتويه من مواصفات جعلتها تستقطب اهتمام المواطن الجزائري الذي كان يرى فيها الخلاص الذي يمكنه من بناء مستقبله وإيجاد كل متطلبات الحياة، مما ينعكس ذلك على الحياة الاجتماعية لهذه الفئات التي اختارت هذه الوجهة.

حيث سعى الناقد الى استخلاص كل هذه المظاهر التي كانت تميز المجتمع الجزائري؛ يقول: «إن تقديم مسرحية تعالج هذا الموضوع وفي هذه الفترة تعد مساهمة هامة في طرح المشاكل الاجتماعية التي عاشتها الجزائر كالنزوح الريفي الذي لم ينعكس بصورة سلبية على العالم الريفي فحسب بل انعكس أيضا على عالم المدينة أيضا حيث انتقل مركز الثقل بعد الاستقلال من الريف

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:35.

إلى المدينة»[1]، ولعل الذي يتضح لنا من خلال هذا، أن ظاهرة النزوح الريفي التي عاشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال قد ساهمت في تكوين أزمات اجتماعية مست جميع الهياكل في المدينة، بالإضافة الى خلقه لمشكلة انعدام التوازن السكاني بين الريف والمدينة, مما أحدث خللا بين كفتي المعادلة السكانية.

ب – المسرحيات التي جسدت الصراع الأخلاقي:

وإذا كان الناقد قد استطاع من خلال قراءته للمسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي؛ أن يتمثل بعض الجوانب الاجتماعية ؛ التي كانت تعبر عن صورة المجتمع الجزائري في تلك الفترة، حيث استطعت من خلالها النّفاذ الى عمق الواقع الاجتماعي واستخراج الحضور الذي كان يجسد صورة المجتمع الجزائري، فإن قراءته النقدية للمسرحيات التي كانت تجسد الصراع الأخلاقي النفسي كانت امتداد لها ، «حيث استعرضت مواضيع اجتماعية أخلاقية، وصورت طبائع الناس وهمومهم، ورصدت البيئة والتغيرات الاجتماعية المختلفة، ودعت الى التغيير، وجسدت الصراع بين القيم البالية والقيم الجديدة، وبين التقليد والتحديث.»[2].

وهذا مايدعونا للتساؤل: كيف انعكست صورة المجتمع الجزائري في مرآة قراءة الناقد لهذا النوع من المسرحيات؟

إن مختلف القضايا الاجتماعية التي طرحها الناقد مخلوف بوكروح من خلال هذه المسرحيات كانت بمثابة امتداد للطرح النقدي الذي عرضه للمسرحيات التي جسدت الصراع الاجتماعي، حيث كان الصراع الأخلاقي النفسي بمثابة نتيجة حتمية لمختلف المظاهر الاجتماعية

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص:35.
[2] نفسه، ص:49.

التي فرضت نفسها على المجتمع الجزائري من جراء هذه التناحرات التي كانت تُفرض عليه مع هذه التطورات التي حملها هذا الواقع الجديد.

يتوصل الناقد من خلال قراءته لمسرحية "القراب والصالحين" لعبد الرحمان كاكي؛ الى تصوير مختلف التقاليد البالية التي كانت تسيطر على المجتمع الجزائري، والتي جعلته يعيش في عالم خرافي يؤمن بالعوالم الميتافيزيقية والتي سلم لها تسليما نهائيا, وهو ما يوضحه الناقد بقوله:«فمسرحية "القراب والصالحين" المقتبسة عن "الانسان الطيب لستشوان" المستوحاة في الأصل من أسطورة صينية وضفها عبد الرحمن كاكي في مسرحيته مستعينا بأسطورة مماثلة تعالج المسرحية أكثر من موضوع، فإلى جانب محورها الرئيسي الذي يدور حول الشعوذة والخرافة، تتطرق الى قضايا أخرى كالعمل والفقر والعدل ودور المرأة»[1].

إن انتشار هذه الأفكار الخرافية في المجتمع الجزائري هو نتيجة للأوضاع الاجتماعية المزرية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في تلك الفترة والتي دفعته دفعا الى الايمان بهذه الأفكار، وذلك طمعا في أن يتخلص من كل هذه الظروف القاسية التي كانت تعشعش فيه، وهو مايوضحه الناقد بقوله: «هذا العمل الذي يبرز أن الايمان بالخرافات ناتج عن الحياة القاسية التي يعيشها أهل القرية (المجاعة الفقر البؤس) كل هذه الأسباب ساعدت على بروز هذه الظواهر الاجتماعية السلبية التي استغلها المشعوذون للسيطرة على عقول الناس البسطاء» [2]، ولعل الذي يتضح لنا من خلال هذ ه القراءةهو حجم المعاناة التي كان يتخبط فيها المجتمع في تلك الفترة ، ومختلف المآسي التي كانت تحيط بهم؛ مما أدى الى الايمان بهذه الأفكار الخرافية التي كانوا يرون فيها أنها الحل والخلاص الوحيد للخروج من هذه الأوضاع الاجتماعية المزرية التي يتخبطون فيها.

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره ، مرجع سابق، ص: 43.
[2] نفسه، ص:43 – 44.

أما قراءة الناقد لمسرحية "سي قدور المشحاح" فقد جسدت صورة أخرى للمجتمع الجزائري تمثلت في ظاهرة البخل وهو ما يبيّنه قوله: «مسرحية "سي قدور المشحاح" المقتبسة عن البخيل لموليير، تتمحور فكرتها حول الشخصية الرئيسية" المشحاح" وتصور بعض م ظاهر الحياة في القرن السابع عشر، خاصة ظاهرة البخل التي جسدها موليير في شخصية"أرباغون» [1]، إن ظاهرة البخل المطروحة هنا تلفت انتباهنا الى عدم تساوي مختلف الأطياف المكونة للمجتمع الجزائري في تلك الفترة مما أدى الى انفتاح وخلق هوّة وفراغ بين الأفراد المكونين للمجتمع الجزائري، حيث كانت ظاهرة البخل صفة لصيقة بالأفراد الذين يمثلون الطبقة الغنية في المجتمع.

ولعل الذي يتضح لنا من خلال هذا العرض الموجز لبعض الإشارات النقدية التي صاحبت هذه الأعمال المسرحية أن مختلف المواضيع التي جسدتها هذه الدراسة النقدية للناقد مخلوف بوكوح لبعض النصوص المسرحية، كانت تلتقي كلها في نقطة أساسية ألا وهي إبراز الصورة الاجتماعية التي ميزت مختلف المظاهر الاجتماعية التي كانت تعكس الحضور الاجتماعي.

حيث سعى الناقد من خلال هذا التوجه السوسيولوجي الذي حدده لمجال دراسته الى التنويع في النصوص المسرحية، ا لتي تناولها، مما جعل قراءته النقدية تحمل زخما ثريا لمختلف الجوانب الاجتماعية، التي استطعت من خلال تحليلها وقراءتها قراءة نقدية أخرى، أن أنفذ الى عمق المجتمع الجزائري واستخراج مجموعة من الاتجاهات التي تُجسد جوانب مختلفة تنعكس في مرآتها صورة المجتمع الجزائري.

[1] مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره، مرجع سابق، ص: 46.

3 – المجتمع / النقد الروائي:

لقد استطاعت الدراسات النقدية الجزائرية التي تناولت بالنقد والتمحيص تجليات الجانب الاجتماعي في الجنس الروائي , أن تعكس لنا مجموعة من المظاهر الاجتماعية والتي بوسع الدارس لها أن يلتمس بعض الجوانب التي كانت تميز المجتمع الجزائري ، لإعطاء صورة أكثر تبصرا وتنويرا عن الحضور الاجتماعي, ا لذي ميّز هذه الأعمال النقدية في جانبها الاجتماعي؛«بهدف إتاحة الفرصة لمزيد من التعرف عليها ترسيخا للوعي بها ومن ناحية أخرى خلق نوع من التبصر النقدي التنويري الذي نراه ضروريا لمقاربة الأعمال الابداعية المعاصرة مقاربة علمية واعية تعتمد على أدوات معرفية ومنهجية متطورة»[1].

ولاشك أن هذه الرؤية الاجتماعية التي ينتزعها النقد الاجتماعي من الأعمال الأ دبيّة، ويُمِدنا بها في حُلة نقدية لاتخاذها كسبيل في استخلاص الصورة الاجتماعية المميزة للمجتمع الجزائري؛ هي تجربة تحمل بين ثناياها رؤية اكثر إيضاحا وتصويبا للنظرة الاجتماعية، لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار فكرة الأيديولوجيا وعلاقتها بالأدب «لأن الأيديولوجيا تبقى حقيقة ثابتة ومرافقة للوجود الانسانيّ. فلا يمكن القول بنهاية الأيديولوجيا إلّا إذا كان من الممكن تصوّر نهاية الانسان معها، وكل ممارساته الاجتماعيّة في اللغة والخطاب، لذلك، فإنّ أي تصور للأدب، مهما بالغ في الابتعاد عن الأيديولوجيا، أو أعلن إنكاره لها، ومناهضته لمفاهيمهما، ينطوي سواء أراد أم لم يرد، على بعد أيديولوجيّ واضح. فالأدب خطاب يتخلّق فوق هذه الأرضية وينطوي عليها، ويمارس فعاليّته فيها، إنه خطاب مشبع بـ "الأيديولوجيا"، تجيء إليه القيم والعلاقات بعد أن تكون قد تشبّعت

[1] عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المنيل، القاهرة، 1999، ص: 05.

بعلاقات القوى الاجتماعيّة والأخلاقيّة والسّياسيّة»[1]، من هذا المنطلق كان مسار التحول في البحث الذي أخذته حيث اتجهت الى الاشتغال على المادة النقدية لكونها أقل تأثرا بمختلف الاتجاهات الأديولوجية التي تفرض نفسها على المادة الأدبية.

فإذا كان الأديب يعمل على انتاج نصه الفني وإبرازه الى الوجود، فإن النقد الذي يتناوله من زاوية اجتماعية يتجاوز هذا النص، الى البحث في الخلفيات والأصول التي أثرت على الأديب وجعلته يكتب ما كتب، وينسج أفكاره الاجتماعية على منوال معيّن ويحاول الناقد أن يتطرق اليها في حكمه وتقييمه لهذا العمل الفني.

وبهذا يصبح النقد هو الآخر كذلك حاملا لبذور اجتماعية تعكس مظاهر المجتمع، «فالنقد لا يقل عن أيّ نوع من أنواع الأدب في أنه بينما هو لا يتوقف لحظة عن يكون أداة للشخصية، فهو في الوقت نفسه تعبير عن روح العصر الذي جاء منه»[2].

فمرافقة النقد للنقد لا تقل أهمية عن مرافقة النقد الأول للعمل الأدبي ، وهذا ما يبينه الدكتور "أحمد حيدوش" أحد المؤسسين للنقد النفسي في الجزائر، يقول: «وإذا كانت احدى مهمات النقد مواكبة الأثر الفني، فإن مواكبة النقد للنقد لا تقل أهمية عن هذه المهمة، ذلك أن الأدب يحيا ويزدهر إذا واكبه النقد بالتقويم، كما أن هذا الأخير يحيا كذالك بالنقد والتقويم فحينما نتناول الأعمال الأدبية بالنقد لا ريب في أن من بين الأشياء التي نبحث عنها في تلك الأعمال ما يتمثل في اكتشاف عناصر الخلود والاستمرارية التي تتضمنها تلك الأعمال، وحين ننقد النقد فإنه مما

[1] الذهبي اليوسف: الأدب والإيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، الجمهورية التونسية، ط1 ، م2016 – 1437هـ، ص: 127.

[2] أحمد أمين: النقد الأدبي القاهرة، جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة المشهرة برقم 8862 بتاريخ 26 /08 /2012، ص: 174.

لاشك فيه أننا نبحث من خلال ذلك عن عناصر صالحة لفهم التجربة الأدبية فهما صحيحا ودعم النقد الأدبي و إغنائه بدراسات مساعدة ومن هنا تأتي أهمية النقد الذي يتجه الى الأعمال النقدية بالتأمل والحكم و التوجيه» [1]. فتكون بذالك الدراسة التي تتناول النقد الأدبي تحت تخصص "نقد النقد" بمثابة المرآة الصافية الجليّة كأكثر ما يكون الصفاء والوضوح.

ولا يخفى على المتتبع للحركة النقدية في الجزائر حضور الدراسات التي تهتم بهذا الجنس الأدبي "الرواية"، حيث استطاعت بعض الأعمال النقدية التي تناولت بالنقد جنس الرواية؛ أن تُنظّر لمدى إستيعابها على تمثيل مختلف القضايا الاجتماعية التي كان يعيشها العصر.

ومن هذه الدراسات نجد العمل النقدي الذي قدمه الناقد مصطفى فاسي المعنون ب: "دراسات في الرواية الجزائرية" حيث سلط الناقد من خلاله الضوء على تحليل مجموعة من الروايات لعدد من الكتاب الجزائريين ، عمل من خلالها على إبراز بعض الملامح الاجتماعية التي كانت تميز المجتمع الجزائري «للأنه من الصّعب – من وجهة نظر النّقد – الزعم بأنّ الرّواية الواقعيّة، كلّ ما فيها واقعيّ. إنّ قدرات الأديب تتجاوز دائما حدود المصطلحات، وضرورات البناء الفنّيّ وتقاليده العامّة من الصّعب أيضا القول بأنها تتّبع مذهبا بذاته. »[2]، وهذا ما جعلني أسلط الضوء أنا الآخر على دراسته النقدية هذه واعتبارها "كمرآة عاكسة" لاستخراج بعض المظاهر الاجتماعية التي جسدتها هذه الدراسة النقدية من أجلا ل التوصل الى انتزاع صورة أكثر وضوحا، تعكس لنا جانب من المجتمع الجزائري؛ تتجاوز النضرة السطحية التي طرحتها الروايات.

[1] أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، بن عكنون، الجزائر، بدون طبعة، 1990، ص: 05.
[2] الذهبي اليوسف: الأدب والإيديولوجيا في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 142.

أما أهم الأدوات الإجرائية التي اعتمد عليها الناقد في هذه الدراسة فقد تمثلت في تركيزه على عنصر الشخصيات، حيث يظهر ذلك من خلال قوله «حاولت في قراءتي لهذه الروايات أن أتتبع أهم ما تثيرهكل رواية مما يستحق الاهتمام في نظري، وقد كان تركيزي في دراستها. مع عدم إهمال بقية الجوانب . على عنصر الأبطال والشخصيات، وذلك بسبب الدلالة الغنية التي يوفرها هذا العنصر الهام في الرواية لما له من علاقة وطيدة بالمؤثرات الاجتماعية خاصة.»[1]؛

وعليه لابد أن نشير الى أن عنصر الشخصيات في الأعمال ال روائية لا يوظف هكذا بطريقة اعتباطية، بدون أي خلفيات اجتما عية وتاريخية ترتبط به ، وبشكل خاص فـإن عنصر الشخصيات في الرواية دائما ما يرتبط بالفضاء المكاني والزماني وبجنس معين من المجتمعات الذي يعير عنها، ممّا يجعلها تضفي على ذلك التمثيل للمجتمع صفة الواقعية وتُزوده بشحنات دلالية تعطينا صورة معبرة عنه.

حيث، «تتشكل شخصية أي انسان من خلال البيئة التي يعيش فيها، كما أن للظروف الاقتصادية والاحتماعية الدور الأبرز في تشكيل الشخصية بوجه عام »[2]، وبمجرد استحضارنا لبعض الشخصيات وما حمّلها الناقد من مستويات دلالية في هذه الدراسة النقدي سترسم في أذهاننا صورة معينة لواقع اجتماعي ما. وذلك ما يحاول الناقد مصطفى فاسي الإشارة اليه من خلال الدراسة التي تناول بها هذه الروايات.

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، حيدرة . الجزائر، ص: 06.

[2] سعد عودة حسن عدوان: الشخصية في اعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية، رسالة ماجستير، اشراف: د نبيل خالد أبو علي، الجامعة الإسلامية . غزة . عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب . قسم اللغة العربية 1435 هـ . 2014 م، ص: 17.

I – قراءات مصطفى فاسي

أولا – رواية ريح الجنوب (عبد الحميد بن هدوقة) :

لقد عمل الناقد من خلال قراءته لهذه الرواية على إبراز بعض القضايا التي كانت تميز المجتمع الجزائري في فترة السبعينيات مثل قضية الاقطاعية والواقعية الاشتراكية وقضية المرأة، باعتبار أنها ركائز أساسية عالجتها الرواية مما أدى بي الأمر الى التركيز عليها لاستخراج القوالب الاجتماعية التي انعكست في مرآتها صورة المجتمع الجزائري. فكيف تجلت صورة المجتمع من خلال قراءة الناقد مصطفى فاسي لهذه الرواية؟ .

ينبغي أن نوضح في البداية أن الناقد قد عمل في هذه الدراسة التي يعكس في جانب منها صورة المجتمع على االرؤية الازدواجية (الريف / المدينة) (الثورة / الاستقلال) وهذا ما نلاحظه من خلال قراءته.

ففي مناقشاته لقضية الإقطاعية يعمل الناقد على النّفاذ الى عمق المجتمع الجزائري واستخلاص التوجه السّوسيولوجي الذي كان يميّزه، ليتوصل الى أن المجتمع بعد الاستقلال كانت تسيطر عليه فئة الاقطاعية التي كانت تهدف الى الحفاظ على أملاكها بكل الوسائل المتاحة في سبيل تحقيق مصالحها الذاتية, وهي تمثل امتداد لصورة "الحركى" التي كانت أثناء الثورة التحريرية وهو ما يظهر من خلال قوله: «فهو سابقا "حركي"... وهو حاليا – أي بعد الاستقلال – مصلحي انتهازي لا يفكر سوى في "أملاكه" والعمل بكل الوسائل للحفاظ عليها»[1].

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:08.

ولعلّ الشيء الذي يتبيّن لنا هو أن الناقد في تمثيله لهذا الجانب من المجتمع الجزائري، قد عمل على استحضار صورة الماضي (الثورة) وربطها بالحاضر (الاستقلال) من خلال شخصية ابن القاضي الشخصية المركزية التي تعكس صورة هذه الوجه من المجتمع، سعيا منه الى تقديم رؤية للمجتمع الجزائري تتجاوز السطحية في عرضها للجوانب الاجتماعية التي كانت تفرض ظلالها على المجتمع في تلك الفترة.

أما صورة المجتمع الجزائري التي انعكست من خلال المرآة التي تطرحها الواقعية الاشتراكية فكانت تتمثل في بداية تغلغل هذا النظام في أوساط السلطة الجزائرية الحاكمة ممثلة في شخصية مالك؛ وهو ما يشير اليه الناقد بقوله: «فهو يرى فيه ذلك الفلاح الكبير الذي يملك من الأرض اكثر من حقه، والذي يجب في اطار الإصلاح الزراعي المقبل، وفي اطار إتجاه الجزائر نحو الاشتراكية أن يتخلى على بعض أراضيه للفلاحين الفقراء المستحقين»[1].

لقد كان من نتائج انتشار الفئات الإقطاعية في المجتمع الجزائري أن أصبحت مفاهيم الشيوعية قد بدأت تطرح نفسها في الواقع الجزائري، لأنها وجدت وسط هذه الصراعات الطبقية موطنا ملائما لنشر أفكارها الثورية، وتحريض فئات المجتمع الجزائري ضد هذه الطبقات الاقطاعية التي بدأت تنموا تحت عباءتها برجوازية تمتص الطبقات الفقيرة.

وانطلاقا من هذا يتوصل الناقد الى تجسيد تباشير الاتجاه الاشتراكي الذي كان ينتظر المجتمع الجزائري مع فترة السبعينيات، والتي كانت الثورة الزراعية فيه تمثل همزة وصل نحوى تخطي الجسر الذي تمثله الفئات الاقطاعية باتجاه المستقبل الاشتراكي.

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:19.

ووسط هذه التطورات التي كانت تفرض نفسها على المجتمع الجزائري, نجد الناقد يوسع في رؤيته للعالم التي يطرحها حول المجتمع، من خلال طرحه لقضية المرأة الجزائرية هذه الشريحة من المجتمع التي جسدت حضورها هي الأخرى وسط هذه التطورات التي كانت تعصف بالمجتمع الجزائري.

والتي حاول الناقد من خلالها أن يجسد مظاهر البيئة الاجتماعية بما تحمله من عادات وتقاليد؛ وهو ما يتضح من خلال قوله: «فالزمان سنوات قليلة بعد استقلال الجزائر، والمكان مكانان، مكان مؤقت هو مجتمع العاصمة الذي تعلمت فيه نفيسة وفتح أمامها الأفاق واسعة، ومكان أصلي، هو مجتمع القرية الذي يناقض الآخر ويعمل على هدم كل مابناه»[1].

إن الناقد يسعى من خلال هذا الطرح الى تمثيل صورة المجتمع الريفي، بما يحمله من عادات وتقاليد جعلته يعيش في بوتقة فكرية مغلقة؛ وحيّز مكاني يفرض عليه مجموعة من التعاملات والقوانين خاصة بالبيئة الريفية في مقابل المجتمع المدني الذي يتميز بالانفتاح والتحرر الفكري الممارس في كل المجالات.

يحاول كذلك الناقد أن يعكس لنا الوعي الطبقي المتطور للمجتمع الجزائري من خلال هذه الشريحة من المجتمع الطامحة لتجسيد مجموعة من التغيرات التي تمس المجتمع الجزائري في بنيته التحتية لأجل تحقيق مستقبل خالي من مختلف المظاهر الطبقية التي تعشعش فيه، وهذا ما يشير اليه من خلال مختلف المظاهر التي تحملها هذه الشخصية «فيما يتعلق بتطور المجتمع وتحرير المرأة»[2].

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 13.
[2] نفسه، ص: 14.

ثانيا – رواية الزلزال (طاهر وطار) :

ويأتي العمل النقدي الذي قام به مصطفى فاسي لرواية الزلزال، الى تمثيل صورة المجتمع الجزائري من خلال المشروع الذي حملته الثورة الزراعية، هذا المشروع الذي كان يدفع المجتمع الجزائري دفعا للأخذ به والقضاء على مختلف المظاهر الطبقية التي كانت منتشرة في أوساطه، والدخول الى معترك النظام الاشتراكي.

وعلى هذا نتساءل: كيف انعكست صورة المجتمع الجزائري في مرآة الواقعية الاشتراكية؟

لقد حاول الناقد أن يطلعنا من خلال قراءته النقدية على التطورات المختلفة التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال , ولاسيما مشروع الثورة الزراعية الذي أحدث هزة كبيرة في مسيرة المجتمع الجزائري من خلال القوانين الصارمة التي جاء بها؛ والتي كانت إيذانا بتفتت وانحلال الطبقات الاقطاعية في المجتمع، التي لم تجد بدّا من مواجهة هذه التطورات لأنها كانت مدعومة من طرف السلطة السياسية في البلاد؛ وهذا ما يوضحه الناقد بقوله: «ولهذا فإن رواية وطار تأتي هنا مؤيدة لقرار السلطة في عملها من خلال مشروع الثورة الزراعية على إعادة تقسيم الأملاك الزراعية بشكل عادل، بحيث يتم القضاء على الملكيات الكبيرة، وتوزيع أراضي الأغنياء الزائدة على الخماسين وغيرهم ممن كانوا يشتغلون في الأرض دون أن يملكوها»[1].

إن الناقد من خلال هذه الرؤية التي يطرحها يحاول أن يجسد لنا تلك الفكرة التي ت مثلها الفلسفة الماركسية في نظرتها التطورية الى المجتمع مع زعيمها كارل ماركس ؛ وذلك لأجل أن يمنحنا صورة تنعكس من خلالها وضعية المجتمع الجزائري في تطوره نحو الواقعية الاشتراكية نتيجة الأفكار التي طرحها مشروع الثورة الزراعية في المجتمع الجزائري.

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 29.

وهذهالنظرة التي كوّنها الناقد للمسار الجديد الذي اعتزم المجتمع الجزائري على الخوض فيه، كانت نتيجة تركيزه على التغيرات التي بدأت تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي في الجزائر والتي استدلّ عليها من خلال تتبعه للشخصية الرئيسية المتمثلة في (بولارواح) ؛ ومختلف التحولات التي مرت بها الى غاية وصوله في الأخير الى اعتناق المذهب الاشتراكي , «ففي جنون عبد الحميد بولارواح ومحاولته الانتحار تعبير عن تصدّع طبقة الإقطاع وتزلزل كيانها مع مجيئ الثورة الزراعية»[1].

ويتضح لنا من خلال هذه الرؤية النقدية التي قدمها فاسي أن المجتمع الجزائري في هذه الفترة كان في طريق التحول نحو النظام الاشتراكي من خلال مشروع الثورة الزراعية الذي كان أول خطوة نحو دخول هذا المعترك الجديد.

ثالثا – رواية الخنازير (عبد المالك مرتاض) :

ويأتي العمل النقدي الذي قام به فاسي لرواية الخنازير ؛ ليعكس متغيرات اجتماعية جديدة تتمثّل في مرآتها صورة المجتمع الجزائري في هذه الفترة ، من خلال انتشار المظاهر الطبقية في المجتمع، حيث يرى الناقد أن هذه الرواية جاءت لـ «تصوير مرحلة السبعينات وخاصة منذ بدايتها معتمدا في ذلك على فضح الطبقة التي هي هنا طبقة بيروقراطية وانتهازية . إذا صح التعبير . أكثر منها طبقة اجتماعية»[2].

فكيف تجلّت صورة المجتمع من خلال هذه المظاهر الطبقية؟.

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:47.

[2] نفسه، ص: 50.

في البداية يسلط الناقد الضوء على العنوان الذي تحمله هذه الرواية، ليصل من خلال تحليله النقدي الى أن الخنازير يعني «كل هؤلاء البيروقراطيين والانتهازيين والاستغلاليين والخونة من مديري المصالح وغيرهم، أي هؤلاء الذين لا يكفون عن امتصاص دم البسطاء والفقراء في كل فرصة تتاح لهم»[1]، إن الناقد هنا يحاول أن يتوصل الى تمثيل صورة المجتمع الذي أصبح غارقا في الفساد؛ نتيجة هذه التعاملات التي فرضها هؤلاء الخنازير في أوساط المجتمع الجزائري.

كما أنه من خلال إشارته الى هذه المظاهر التي تعكس جوانب الفساد في المجتمع؛ يحاول أن يجسد ذلك الصراع الذي وصل اليه المجتمع الجزائري في هذه الفترة , والذي كان يتم بين الطبقة البورجوازية؛ والتي يجسدها شخصية الكبير ، والطبقة الفقيرة التي تتعرض للإستغلال والظلم من جراء المظاهر الفاسدة التي انتشرت في المجتمع بفعل توسعات هذه الطبقة البورجوازية والتي يمثلها إبن الشهيد.

والتي كانت لها نتائجها وانعكاساتها على مستوى المؤسسات التي تُسيّر مختلف انشغالات المجتمع الجزائري، حيث اعتبر الناقد الرواية بمثابة «صورة للتعفن البيروقراطي واستغلال المنصب الإداري»[2]، ليعكس لنا الناقد انطلاقا من هذه الرؤية النقدية التي يمثلها هذا الجانب من الرواية ، حالة الفساد التي وصلت اليها الإدارة الجزائرية هي الأخرى من جراء التعاملات المشبوهة التي تتعامل بها مع هؤلاء الخنازير في المجتمع.

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 49.
[2] نفسه، ص:52.

رابعا – رواية عين الحجر (علاوة بوجادي) :

أما اذا انتقلنا الى القراءة النقدية التي خصّ بها الناقد هذه الرواية، فنجد أنه يركز من خلالها على موضوع رئيسي كان يميز المجتمع الجزائري في تلك الفترة ألا وهو «قضية الطبقية، طبقية أنماط العيش وأساليب الحياة، وطبيعة الفارق المادي بين أفراد المجتمع»[1]

مما أدى الى تكون الطبقات البورجوازية في المجتمع الجزائري من جرّاء هذه الفوارق المادية المنتشرة بين فئات المجتمع الجزائري، وكنتيجة حتمية لتكوّن هذه الطبقات البورجوازية ظهرت الطبقات الكادحة, وقد كانت العلاقة بينهما عبارة عن فراغ مستمر «الفارق بين شخصية سميرة، وشخصية مصطفى، أو بين البورجوازية المستهترة، والطبقة الفقيرة البسيطة، المنكفئة على نفسها واضح منذ البداية»[2].

ومن خلال هذه القراءة النقدية لموضوع الرواية يتبيّن لنا بأن الناقد سيعمل على عكس تمظهرات الحياة الاجتماعية المختلفة التي أصبحت تميز المجتمع الجزائري بعد الاستقلال من جرّاء هذه التمايزات الطبقية، التي انعكست على مختلف الجوانب التي كانت تميز المجتمع الجزائري ممّا ساهم في ظهور فوارق طبقية بين مختلف الفئات المكوّنة للمجتمع.

إلا أن هذه الرؤية النقدية التي يجسدها الناقد عندما يناقش قضية الطبقية في المجتمع الجزائري، يعمل على تقديمها بمنظور استذكاري يعود بنا الى زمن الثورة التحريرية ويظهر هذا من خلال قوله: «ومن البداية يتضح كأن الرواية تشير – مع العلم أن أحداثها تدور زمانيا في المرحلة الأولى لاستقلال الجزائر – الى أن الوضع الاجتماعي ومن ثم الطبقي ظل على الحالة نفسها التي

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 68.
[2] نفسه، ص:72.

كان عليها زمان الاستعمار »[1]. وقد تكون هذه الرؤية الازدواجية التي يعتمدها الناقد في تمثيل صورة المجتمع الجزائري؛ ناتجة عن العلاقة العضوية التي تربط بين الماضي (الثورة) والحاضر (الاستقلال)، فـ«الثورة والاستقلال يمثلان مركزا يحضر في سائر الأعمال الأدبية»[2].

خامسا – رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمادوش (الاعرج واسيني) :

ويأتي العمل النقدي الذي قام به فاسي لهذه الرواية الى تصوير مرحلة جديدة بدأت تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي الجزائري ؛ وهو ما يظهر من خلال قراءته لهذه الرواية حيث يرى أنها «تصور مرحلة حاسمة للغاية في تاريخ الجزائر، مرحلة استطاع الكاتب أن يتحسسها بكثير من الوعي؛ هي نهاية المرحلة البومدينية، وبداية مرحلة جديدة بما تحمله هذه المرحلة من التساؤلات المشروعة عن الاتجاه الذي تسير فيه الجزائر ابتداء من الثمانينات ونحن نشعر أن أحد عمال الثورة الزراعية مات محروقا»[3].

فكيف تجلت صورة المجتمع الجزائري من خلال هذه المرحلة الجديدة ؟

إن الناقد يحاول أن يعكس بداية التغيّر الذي بدء يرخي بظلاله على المجتمع مع بداية الثمانينات محاولا الرجوع بالمجتمع الجزائري الى العصر الذي كانت تتسيد فيه الطبقات الاقطاعية، حيث طُرحت في الواقع الاجتماعي الجزائري في هذه الفترة ، مجموعة من المستجدات المهمة كان لها الدور الكبير في تحويل وانحراف مسار السفينة التي كانت تقل المجتمع الجزائري في زمن النظام الاشتراكي؛ والتي كانت تفرض خطا معينا للسير بالمجتمع الجزائري.

---

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 68.

[2] حياة معاش: الثورة والاستقلال في الرواية العربية الأشعة السبعة لابن هدوقة "انموذجا"، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري . جامعة بسكرة. الجزائر، العدد 09 . 2013 ، ص: 91.

[3] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:83.

فكان أن طُرحت تساؤلات عديدة في هذه الفترة بشأن مستقبل النظام الاشتراكي في الجزائر ، خاصة إذا كنا نعلم أنّ في هذه المرحلة من التاريخ بدأ ت بوادر النظام الجديد تطرح نفسها وبقوة على السلطة السياسية في الجزائر، لأجل الأخذ بها وتطبيقها في أوساط المجتمع الجزائري.

وعلى هذا نجد الناقد يشير الى العقبات التي تعترض سبيل استكمال المشروع الاشتراكي في المجتمع الجزائري، وهو ما يظهر من خلال قوله: «ومن ثم فإن هذه الرواية، وبعض الأعمال الأدبية الأخرى تطرح إشكالية السلطة في الجزائر في هذه المرحلة في ارتباطها بالجوانب البيروقراطية أو بالأحرى دور البيروقراطية في التأثير في قرار السلطة؛ ومن ثم التسبب في تأخير مسيرة الاشتراكية، إذ كيف يمكن تطبيق مشروع اشتراكي كالثورة الزراعية من طرف سلطة هي في معظم أفرادها غير اشتراكية، بل هم أكثر من ذلك متحالفون مع الرجعية والإقطاعية»[1].

مما أدى الى نشوب صراع بين ممثلي النظام في هذه الفترة (الشيوعية البومدينية والرأسمالية)، الأمر الذي أدى بالفئات الاقطاعية التي كانت ترى أنها قد نُهبت منها أموالها في إطار الثورة الزراعية الى استعمال كل الوسائل الانتهازية لأجل استرجاع أراضيها التي أُخذت منها أثناء تطبيق السلطة الساسية في المجتمع لن ظام الثورة الزراعية في السبعينات من عمر المجتمع الجزائري، والعودة بالمجتمع الجزائري الى أجواء المناطق العفنة التي كانت تفرضها عليه الفئات الإقطاعية في الماضي.

سادسا – رواية عزوز الكابران (بقطاش مرزاق) :

نشير في البداية الى أن هذه القراءة النقدية التي يطرحها الكاتب لهذه الرواية تركز على عزوز الكابران، والذي كما يظهر من رتبته أنه ينتمي الى السلطة العسكرية، مما يؤدي بنا مسبقا

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:84.

الى التنبؤ بأن هذه القراءة النقدية ستدور في فلك التعبير عن طبيعة العلاقة التي كانت تجمع بين هذه السلطة والمجتمع الجزائري, وذلك أثناء «مرحلة ما بعد استقلال الجزائر ولكن مع التركيز خاصة على مرحلة الثمانينيات»[1].

وهو ما يوضحه الناقد بقوله إن «تركيز الكاتب في هذه الرؤية، ينصب بالذات على ذلك الانفصام الكبير والواضح بين السلطة والشعب، مع العلم أن السلطة هنا هي سلطة عسكرية»[2].

فكيف تجلت صورة المجتمع الجزائري في مرآة هذه الشخصية؟.

إن الشيء الذي نلاحظه هو أن الناقد يحاول أن يتوصل انطلاقا من هذه الرؤية النقدية الى تبيين طبيعة التغيرات السياسة الجديدة التي كانت تفرض نفسها على المجتمع الجزائري في تلك الفترة "فترة الثمانينيات"، مما أدى في الأخير الى تدخل السلطة العسكرية لأجل دع م هذه التغيرات السياسية المفروضة فرضا تعسفيا على المجتمع الجزائري ؛ من طرف الفئات البيروقراطية والانتهازية, وهو ما أدى الى خيانته للثقة التي منحها له الشعب الجزائري ؛ لما وقف ضدها أثناء هذه التحولات السياسية الجديدة التي فرضت نفسها على المجتمع الجزائري، وهو ما تؤكده قراءة الناقد لهذه الشخصية التي تجسد السلطة العسكرية في المجتمع الجزائري «هي صورة حاكم عسكري جاهل متجبر أمي مستبد بالرأي، ظالم ، الخ... »[3]

إلا أننا نلاحظ أن الناقد أثناء توصله لهذه النتيجة التي تعكس لنا مظاهر الفساد والخيانة التي كانت تمسُ هذه السلطة العسكرية، قد اعتمد فيها على استنطاق تاريخ شخصية عزوز الكابران

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:102.
[2] نفسه، ص: 102.
[3] نفسه، ص: 167.

الذي يمثل هذه السلطة ؛ حيث يقول : «إن تاريخ عزوز الكابران كله تاريخ سيئ، ولذلك ف إن شخصيته مهزوزة وضعيفة فهو زمانا كان يعمل لصالح دولة اجنبية ومنحوه تلك الرتبة التي لم تكن تمنح إلا للذين يركعون أمام أسيادهم» [1]. ويبدو أن الناقد يتخذ هذه الشخصية كمرآة لطرح إشكالية السلطة السياسية في المجتمع الجزائري في تلك الفترة، حيث جسد لنا مجموعة الأفكار والانشغالات التي كانت تُطرح في الواقع الاجتماعي الجزائري.

ويمكن القول أن مع هذا الوقت «كانت تكبر قضايا المجتمع العربي مع التطور، وتحتل على رأسها قضايا التخلف والتبعية والقمع. تختزل كل هذه القضايا في إشكالية السلطة: السلطة السياسية (الحاكم) والسلطة الاجتماعية (الطائفية والقبيلة والأعراف والتقاليد)»[2].

ومن خلال هذه الرؤية النقدية التي يطرحها الناقد فاسي حول المجتمع الجزائري نستطيع الوصول الى رسم صورة تُبيّن لنا ملامح ومواصفات هذه السلطة العسكرية الحاكمة للمجتمع الجزائري، التي تبدو في مرآة هذ ه القراءة النقدية؛على شكل صورة تتصف بالعمالة والخيانة ؛ وهو ما يتبيّن لنا انطلاقا من "رؤية العالم" التي يكونها الناقد انطلاقا من نظرته الكلية الى كل هؤلاء الذين يجسدون هذه الفئة في المجتمع الجزائري آنذاك والتي تتجلّى في قوله:«وعلى العموم فان الكاتب يقدم هذه الجماعة كلها على أنها مجموعة من الأوغاد لا يكاد أحدهم يفضل الآخر يجمعون في ذواتهم وطبيعة أخلاقهم كل الصفات السيئة والرذيلة»[3]

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 104.

[2] سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، دار الأمان . الرباط، ط1 ، 1433 هـ، 2012 م، ص: 10.

[3] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 110.

سابعا . رواية بان الصبح (عبد الحميد بن هدوقة) :

ويأتي العمل النقدي الذي قام به فاسي لهذه الرواية ليعكس لنا بعض اللمسات التي تجسد صورة المجتمع في مرحلته المتطور ة التي فرضتها عليه التغيرات التي حملتها البيئة الجديدة (العاصمة)، حيث نجد الناقد يسلط الضوء على بعض مظاهر هذه البيئة الاجتماعية في جانبها المتطور والذي مسّ مجموعة من الميادين ؛ مما أدى الى انعكاس كل ذلك على صيرورة المجتمع الجزائري في هذه الزمن بشكل عام , وهو ما يظهر من خلال الرؤية النقدية التي يطرحها الناقد حول هذه الرواية، التي يرى أنها جاءت لأجل «تصوير مرحلة أخرى أكثر تطورا، وأكثر تعقيدا في تاريخ الجزائر الحديثة، ونعني بذلك أن العاصمة نفسها لم تكن في بداية الاستقلال، بهذا الشكل الذي ظهرت به في منتصف السبعينات من خلال رواية بان الصبح»[1].

إلا أن الناقد بإشارته الى الجانب المتطور الذي مسّ العاصمة في هذه الفترة ، يحاول أن يطرح لنا مجموعة من التغيرات التي انعكست على المجتمع الجزائري هي الأخرى من جرّاء هذا التطور؛ مما أدى في الأخير الى ظهور مجموعة من الصراعات التي شملت كل المستويات «ففي مجال الأفكار كان هنالك الصراع الذي بدأ يطرح في الساحة من خلال مناقشة قانون الميثاق، وفي مجال صراع الأباء والأبناء هنالك ذلك التناقض الكبير بين الشيخ علاوة وأبناءه، وذلك التطور الذي حدث بالنسبة الى الأبناء بإيجابياته وسلبياته»[2].

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص:146.
[2] نفسه، ص:146.

إن الناقد من خلال هذه الرؤية يحاول أن يسلط الضوء على التغيرات التي مست الجانب المتطور في البيئة الجزائرية ؛ والتي كانت تمثله المدينة أين أدى الى إنعكاس ذلك على العادات والأخلاق والتقاليد الخاصة بالمجتمع الجزائري نتيجة معاصرته لهذه التطورات.

ممّا مهّد ذلك الى ظهور تطورات مسّت المجتمع الجزائري انعكست على البيئة الجزائرية والأفراد الفاعلين في هذا المجتمع ، وكان من نتيجته ظهور صراعات مختلفة بين الطبقات المحافظة، والطبقات الأخرى المتحررة فكريا والتي تدعوا الى الإنفتاح على الآخر.

حيث أدى هذا في الأخير الى تمثيل الناقد لواقع اجتماعي خاص بتلك الفترة ، تنعكس من خلاله ثلاثية تين (الجنس – البيئة – الزمن) في المجتمع الجزائري، التي تجلت بصورة واضحة في هذه القراءة النقدية التي توصل اليها مصطفى فاسي.

ووسط هذه الظروف الجديدة التي كانت تفرض نفسها على المجتمع الجزائري، والتي تمثلت في جانب منها في مجتمع المدينة (العاصمة)، مما أدى الى ظهور صراعات مختلفة مسّت جميع الجوانب التي كانت تجسد الشخصية الجزائرية في هذا المجتمع، والتي كانت تدفع بالمجتمع الجزائري الى الانفتاح على كل المفاهيم والأفكار بعقلية إجترارية لا تستند الى الغربلة والتمحيص في شيء، فكانت النتيجة انتشار بعض مظاهر الفساد في المجتمع الجزائري. نجد الناقد يشير الى بعض الفئات التي كانت تمثل في المجتمع الجزائري الجانب الواعي بكل هذه الموازين الجديدة التي تفرض نفسها على الواقع الجزائري.

وهو ما يُشير اليه بقوله: «وابن هدوقة . بعد هذا . لم يرد مثلا مجرد الإشارة الى انتشار الفساد في المجتمع أو ضياع المرأة، و لكنه قدم لنا من خلال دليلة، امرأة مثقفة ناضجة، واعية بما

تفعل، ومسئولة كامل المسؤولية عن فعلها .»[1]؛ وهذا ليبين لنا أنه رغم كل هذه الصراعات والتداخلات الناتجة عن هذا التقدم والانفتاح الذي كانت الجزائر في بداية الطريق اليه ، خصوصا على مستوى المدينة، الذي شكل بداية وضع ينمّ عن تطور في اتجاه سلبي، إلا أن المرأة المثقفة كانت تمثل الاستثناء، فهي تمثل صورة مشرفة وواعية وسط هذا المجتمع

ثامنا – رواية مالا تذروه الرياح (عرعار محمد العالي) :

أما إذا انتقلنا الى قراءة الناقد مصطفى فاسي للرواية الأخيرة، فإننا نجد أن هذا العمل النقدي يأتي لتمثيل صورة المجتمع الجزائري التي تظهر من خلال موضوع الهجرة والاغتراب الذي كان مطروحا في الواقع الجزائري، والذي يجسد إرتباط فئة من المجتمع الجزائري اختارت لنفسها هذا الطريق المتمثل في الهروب من الوطن الجزائر باتجاه الآخر الغرب.

وقد جسد الناقد هذه الظاهرة (الهجرة والاغتراب) في شخصية البشير، وهو ما يوضحه بقوله:«ينتقل البشير من بلدته الى العاصمة، ثم الى ضواحي باريس، لكي يؤدي التدريب العسكري، ثم ليضل هناك بعد ذلك حتى نهاية الخدمة العسكرية مع استقلال الجزائر وعودته إليها»[2].

إن الناقد يحاول أن يتوصل من خلال هذا الموضوع الى إبراز العلاقة التي كانت تربط المجتمع الجزائري مع الآخر، إلّا أنّ الناقد يختزل هذا الآخر في قطب واحد يمثله المجتمع الفرنسي ليُبرز لنا تلك العقدة التي بقيت ملازمة للمجتمع الجزائري برباط لا سبيل الى حلّه نظرا للتاريخ الطويل الذي جمعهما، وهو ما يؤكده بقوله: «إن ما يربط الانسان الجزائري بالغرب ليس السياحة أو الدراسة أو العلاقات الخارجية، على الرغم من وجود هذه الأمور جميعا، ولكن ما يربط هذا

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق ، ص: 147.
[2] نفسه، ص: 154.

الانسان بالغرب هي علاقة حضارية معقدة تتلخص في وجود إشكالية المستعمِر والمستعمَر ومن ثم جاءت خصوصية نضرة الانسان الجزائري والكاتب الجزائري الى الغرب»[1]

إن هذه الرؤية النقدية التي يطرحها الناقد تبين لنا الأساس الّذي كوّن هذه العلاقة، والتي كانت بفعل تلك الرواسب القديمة التي تشكلت ما بين المجتمعين المبنية على أساس التبعية الاستعمارية، أين تحولت مع مرور الوقت الى نوع من الانقياد العفوي يسلكه المجتمع الجزائري باتجاه هذا المعسكر الغربي.

ويبقى موضوع الهجرة والاغتراب من المواضيع التي لطالما شكلت موضوعا ثريا وحساسا لأغلب النقاد أثناء دراستهم للأعمال الإبداعية من زاوية ارتباطها بالمجتمع الجزائري ، نظرا للرؤية الاجتماعية الواسعة التي يطرحها هذا الموضوع اتجاه الواقع الجزائري وتجسيده لمختلف القضايا التي تمثّل لصورة المجتمع الجزائري.

إلّا أنّ الناقد قد أفرد لهذه الرواية في الأخير صفحات نقدية؛ يعكس فيها الوعي الخاطئ الذي شكله الكاتب لصورة المجتمع الجزائري التي رسمها في عمله الروائي هذا، على أساس أنه قدم صورة للمجتمع الجزائري قد ذاب كليا في الأخر الذي يمثله المجتمع الفرنسي، وعدم قدرته على تقديم صورة مشرفة صحيحة تليق بالمواطن الجزائري المحب لوطنه الذي يبقى يحتفظ له بالذكريات لا يصده نعيم الوطن الغريب الذي أبحر اليه في المهجر.

وهذا مايبيّنه الناقد مصطفى فاسي بقوله: «قدم الكاتب في هذه الرواية شابا تغلب عليه السذاجة الى درجة الغباء، شابا ناقص الوعي معجبا بفرنسا انسانا وطبيعة وحضارة وقوة، إلخ. يذكر وطنه أحيانا ولكن ذكرا غير واع، كما قد يذكر الثوار ولكن عرضا.»[1]

[1] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 153.

وهذا ما يحرك لدينا الشكوك حول تلك المعادلة التي تقول بأن الأدب انعكاس للمجتمع، والتي انساق وراءها بعض نقادنا من غير شك فيها أو ارتياب لها؛ حتى غدت مسلمة يعمل بها كل النقاد وأكثر من ذلك أنها تسربت إلينا كنقاد مبتدئين من بعدهم حتى تأصلت فينا، ونسوا أن يعلمونا أن«هذه المذاهب قد نشأت ونمت ووجدت دواعيها الاجتماعيّة والثقافيّة والرّوحية والسّياسية من نظم تلك المجتمعات الغربيّة وتحدّدت ملامحها في أدبهم لا في أدبنا، فنحن وإن أخذنا بأطراف من هذا المذهب أو ذاك لسنا إلّا مقلّدين، ومن ثمّ لايحقّ لنا استعمال هذه المصطلحات منسوبة الينا، أو ننسب فنّنا اليها، فنتحدّث عن واقعيّة عربيّة أو ماشابه ذلك»[2].

هذا ما يجعل لزاما علينا ما دمنا أننا قد قطفنا من هذه النظريات الثمار الناضجة دون الجذور؛ أن نبحث عن الواقعية في الأعمال النقدية التي تنظّر لهذه الاعمال الأدبية، لأن الناقد يبقى في الأخير أكثر ثقافة من الأديب، يرى أكثر منه وأحيانا يرى الناقد ما لا يراه الكاتب، مما يتسنى له القدرة على تصويب أخطائه التي يكوّنها الأديب حول مجتمع ما في فترة زمنية محددة، ولهذا« قال بعض النقاد أن الحالة الاجتماعية لأمة من الأمم تعرف من آراء النقاد أكثر مما تعرف من البلاغة نفسها. أي أنه يمكن أن يعرف الانسان من ملاحظات النقاد على الكتّاب والشعراء صحة مطابقتها للأخلاق والعادات من عدمها، لأن النقاد يرون مالا يراه الكاتب نفسه، فتكون آراؤهم أقرب الى الصواب من آراء الكاتب. وهذه الأراء تبين أفكار الكاتب وحكمه على المجتمع الذي يعيش فيه»[3] .

[1]مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 156.
[2]الذهبي اليوسف: الأدب والإيديولوجيا في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 143.
[3]أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط 1، 1921، ص: 74.

وكخلاصة عامة لهذه الدراسة النقدية التي طرحها الناقد مصطفى فاسي حول هذه الروايات من منظور الرؤية الاجتماعية ، والتي جسد من خلالها بعض الجوانب التي انعكست في مرآتها صورة المجتمع الجزائري؛ نستطيع القول بأن الناقد وإن وُفّق في دراسته هذه الى حد ما , إلا أنه قد وقع في بعض الهفوات ممّا كان لزاما عليّ بعدما تناولت قراءته النقدية هذه أن أنبه اليها.

إن الشيء الذي نلاحظه هو أن الناقد قد انساق وراء تتبع الشخصيات التي حملتها هذه الأعمال الروائية ، بدون تصنيفها انطلاقا من مبدأ تنظيمي يعمل فيه على غربلة الشخصيات الرئيسية من بين الشخصيات الثانوية، لكي يمنح لهذه الدراسة بعدا تنظيميا يساعد الدارس لهذا النقد على تقديم دراسة أكثر وضوحا حول طبيعة المضامين الاجتماعية التي جسدتها هذه الشخصيات.

هذا بالإضافة إلا أنّنا نجد الناقد أحيانا يبالغ في شحن هذه الشخصيات ببعض المضامين الاجتماعية وتحميلها فوق طاقتها ، مما جعله ينساق أثناء دراستها لا كما هي كائنة في العمل الروائي وإنما باقتراح حلول لما يجب أن تكون عليه. كما أننا نجد الناقد أحيانا يزاوج بين الدراسة السياقية والنسقية لهذه الروايات ، وهذا ما يجعل الدارس لنقده يضيع بين دهاليز هذه الدراسة في استجلاء المظاهر التي تعكس لنا صورة المجتمع الجزائري ، ويغيّب عليها الجانب التنظيمي في تناول الظاهرة الإبداعية.

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد كل هذه الطروحات التي قدمتها في هذا البحث، انطلاقا من مناقشة إشكالية تدور في خلاصتها حول استخراج الحضور الاجتماعي الذي تتميز به الكتابات النقدية ، كان لزاما علي أن أخرج بمجموعة من النتائج التي أعتقد أنها بقدر ما تُشفي غليل المطلع على هذا البحث؛ ستترك لديه تساؤلات وتفتح عليه إشكاليات أخرى مرتبطة بهذه النتائج، بالإضافة الى أنها ستدفعه الى الخوض في مناقشه بعض القضايا النقدية التي أصبحت بحكم العادة متداولة ومستقرة بين ألسنة نقادنا العرب، من غير أن يتوجسوا لها أو يبدوا اتجاهها التساؤلات.

أوّل هذه النتائج التي توصلت اليها في الجانب النظري الذي تطرقت فيه الى علم الاجتماع باعتباره يمثل الخلفية الفلسفية التي تشكل من خلالها النقد الاجتماعي؛ الذي يبقى مدينا لهذا العلم نظرا للأدوات الإجرائية التي أمدّه بها في سبيل أن يتأصل كمنهج قائم بذاته، ومتطورا بعد ذلك الى منهج البنيوية التكوينية. هي أن مختلف النظريات التي أسست للنقد الاجتماعي كنظرية الانعكاس في صيغتها الماركسية والواقعية والواقعية الاشتراكية التي تأثر فيها كارل ماركس بثنائية الإستاتيك lastatioue والديناميكDynamique التي أشار إليها اوجست كونت؛ وثلاثية الناقد الفرنسي

هيبوليت تين (الجنس البيئة واللحظة التاريخية)، الذي حاول أن يزجّ من خلالها بالنقد في طريق علمي مُتأثرا بالفلسفة الوضعية الاجتماعية، ومفاهيم "رؤية العالم" و"التناظر" التي توصل اليها المنهج الغلودماني الذي عرف بالبنيوية التكوينية. هي نتاج لاجتهادات نقاد غربيين نظرّوا لها واستخلصوها انطلاقا من آدابهم لا من آدابنا وهي امتداد لمفكريين وفلاسفة عقليين؛ إذ لابدّ أن نراعي هذه النظريات والقضايا ونحن نطبقها سواء على الاعمال الإبداعية أو النقدية الخاصة بنا نحن الشرقيين. لهذا لا ينبغي أن ننتظر أن تأتي هذه النظريات بتلك النتائج المرجوّة أثناء

استنساخها من بيئتها وتطبيقها على أعمالنا النقدية، إلا اذا حاولنا التخلص من مختلف الأديولوجيات التي عشعشت في أدمغة أُدبائنا ونقادنا وأصبحوا ملزمين بالتعبير عن واقع معين، لا ملتزمين، ولهذا يجب أن نفرق بين الالزام والالتزام.

ثانيا: إن البحث في اجتماعية الأعمال النقدية هو بمثابة امتداد للبحث في اجتماعية الأعمال الإبداعية، إلا أن القراءة النقدية تعد مرآة لتمثل الواقع الاجتماعي وإبرازه الى الوجود وتقديم رؤية أشمل وأوسع تنعكس في مرآتها صورة المجتمع الجزائري.

ثالثا: إذا كان هناك اتفاق كلي بين مختلف النقاد على أن القراءات المختلفة التي تطرح أسئلتها حول الابداع الأدبي ظلت من زمن بعيد تدور حول أحد أضلاع المثلث (المؤلف – النص – القارئ)، فإنني حاولت أن أقترح من خلال هذا البحث إضافة زاوية أخرى ينطلق منها الباحثون في مقاربة الاعمال الإبداعية وهي التي تطرح أسئلتها من زاوية التجربة النقدية، فتصبح النظريات الأدبية موزعة حول {الكاتب، النص، القارئ، التجربة النقدية}؛ مع العلم أن التجربة النقدية يبقى المجال فيها مفتوحا للإستفادة من تتابع مختلف العمليات النقدية. وهكذا تنشأ اتجاهات أكثر نُضجا لمقاربة الظواهر الإبداعية، تبحث عن صورة المجتمع من خلال النقد الاجتماعي وعن الاتجاه التاريخي من خلال النقد التاريخي وهكذا.

وبعد هذه النتائج التي توصلت اليها كان عليّ أن أقدم مجموعة من التوصيات يمكنني إجمالها في ثلاثة نقاط أساسية:

أولا: لابد من البحث عن مختلف العوامل الروحية والثقافية والبيئية التي ساهمت في نشأة النقد الاجتماعي في صيغته الغربية لكي يسهل لنا التعامل مع قضاياه التي يطرحها في معالجة الظاهرة الإبداعية والنقدية في اجتماعيتها.

ثانيا: لابد من تكوين القارئ النقدي المحترف المتحرر من كل القيود والأديولوجيات في سبيل مقاربة الظاهرة الإبداعية والكشف عنها.

ثالثا: لابدّ أن نقوم بعملية مسح شاملة لمختلف الدراسات النقدية التي تناولت الأعمال الإبداعية الجزائرية من زاويتها الاجتماعية ودراستها، ورسم صورة أكثر وضوحا للمجتمع الجزائري انطلاقا من هذه القراءات النقدية وتنقية مختلف الأيديولوجيات التي وقع فيها أدباءنا وهم يعبرون عن واقع المجتمع الجزائري.

المصادر والمراجع

المصادر:

- جورج لوكاش: التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنّا الشاعر، دار الاندلس، ط 2، 1982.
- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الأول، تحقيق: أ.م.كاترمير، لبنان، بيروت، عن طبعة باريس سنة 1958 ، مكتبة لبنان، بيروت 1996.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الثاني، تحقيق: المستشرق الفرنسي: أ.م.كاترمير، عن طبعة باريس سنة 1958، مكتبة لبنان، بيروت 1996.
- لوسيان غلودمان: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، ط2 ، 1986 .

المراجع العربية

المدونات:

- زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر، دار الحداثة، لبنان . بيروت، ط1 ، 1985.
- مخلوف بوكروح : المسرح والجمهور دراسة في سوسيولوجية المسرح الجزائري ومصادره.
- مصطفى فاسي دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، حيدرة . الجزائر، 2000.

المراجع العربية الأخرى:

- ابراهيم السعافين: مناهج النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط 1، 1997.
- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الادب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب الجزائر ، ط5 ، 2007.
- أحمد أمين: النقد الأدبي القاهرة، جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة المشهرة برقم 8862 بتاريخ 26 /08 /2012.
- أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، بن عكنون، الجزائر، بدون طبعة، 1990.
- أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، بدون طبعة، رقم الإيداع 2097/ 1983.
- أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط 1، 1921.
- أنور عبد الحميد الموسى: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دكتوراه دولة في اللغة العربية وآدابها، دار النهضة العربية.
- جابر عصفور: نظريات معاصرة، مهرجان القراءة للجميع، صيف 98، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم الإيداع بدار الكتب9603 / 1998.
- حسين جمعة: طه حسين، القامة والظل، دار بن هاني، سورية، طبعة 1.

- حسين عبد الحميد رشوان: الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، ط 4، 2011.
- الذهبي اليوسف: الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، الجمهورية التونسية، ط1 ، م2016 – 1437هـ.
- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، دار الأمان . الرباط، ط 1 ، 1433 هـ، 2012 م.
- سمير سعيد حجازى: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط 1،1421هـ،2001 م.
- السيد يسين: التحليل الاجتماعي للأدب، القاهرة، ط 3 .
- صالح هويدي: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1 ، 2015 م، 1436 هـ.
- صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1980 م .
- طه حسين: حديث الأربعاء ج 2، دار المعارف، القاهرة، ط 14.
- طه حسين: فصول في الأدب والنقد، القاهرة، جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، المشهرة برقم 7266 بتاريخ 26/ 08/ 2012 .
- طه حسين: في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط 3، 1352 هـ، 1933 م.
- عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية (دراسات ادبية ونقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية . بن عكنون . الجزائر، 1994.
- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، طبع في 2010.
- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المنيل، القاهرة، 1999 .

- فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، جميع الحقوق محفوظة للدار العربية للكتاب، بن عروس، تونس، ط1، 1988 .
- ماجدة حمّود: علاقة النّقد بالإبداع الأدبيّ، منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، 1997.
- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط3، 2003.
- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، أكتوبر، بدون طبعة، 1997.
- هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015 .
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 1428 هـ، 2007.

المراجع المترجمة:

- أرسطو طاليس: فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تر: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون طبعة، 1953.
- أفلاطون: الجمهورية، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء . الإسكندرية، بدون طبعة، 2004.
- إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر: د : محمود قاسم، مرا: د. السّيد محمّد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950.
- إنريك أندرسون أمبرت: مناهج النقد الأدبي، تر: د. طاهر احمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون طبعة، 1412هـ . 1991.

- إيميل دوركايم: علم الاجتماع والفلسفة، تر: د. حسن أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 1، 1966 .
- تشارلز أ. موز: تاريخ الأدب الروسي، تر: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، بدون طبعة، 2011.
- تيودور فون أدرنو: محاضرات في علم الاجتماع، تر: جورج كتورة، لبنان – بيروت، بدون طبعة.
- رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، 1998 .
- روبير اسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب، تر: أنطوان عرموني، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 01، 1978 .
- ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي –(مدرسة فرانكفورت، الوجودية، مابعد البنيوية) – تر: محمد عناني، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2016.
- غاستون بوتول: تاريخ علم الاجتماع، تر: غنيم عبدون، مر: د. جلال حسن صادق مطابع دار القومية للطباعة والنشر، بدون طبعة.
- فردريك انجلز: الاشتراكية: الطوباوية والعلم، سلسلة دفاتر ماركسية 2، اشراف: سلامة كيلة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، شباط 2013 .
- كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، تر: عبد الحميد صبره، دار المعارف، الإسكندرية ، ط 3 ، 1959.
- ليفي بريل: فلسفة أوجست كونت، تر: د. محمود قاسم، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو مصرية، بدون طبعة.

- نايجل رود جرز – ميل ثومبثون – جنون الفلاسفة، تر: متيَم الضايع، دار الحوار سورية، اللاذقية، ط 1، 2015.
- و ل ديوزانت: – قصة الفلسفة – تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط 6، 1408 هـ _1988م .

المعاجم:

- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بدون طبعة، بيروت، لبنان، 1982.

الموسوعات:

- معن زيادة: المسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول، مكتبة مؤمن قريش، طبعة1، 1988.
- معن زيادة: الموسوعة الفلسفية،المجلد الثاني، مكتبة مؤمن قريش، طبعة1، 1988 .

المجلات:

- جابر عصفور عن البنيوية التوليدية قراءة في لوسيان غلودمان، مجلة فصول ، المجلد 2 . العدد2 . يناير 1981 . ربيع أول 1401هـ.
- شكري عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة 177، ربيع الأول 1414 هـ سيتمبر/ أيلول 1993.
- صبري حافظ: الأدب والمجتمع، مجلة فصول، المجلد 1، العدد2، يناير 1981، ربيع أول 1401هـ.

- عبد العزيز الدوري: فلسفة التاريخ، مجلة عالم الفكر المجلد الثاني – العدد الثاني ، يوليه – اغسطس – سبتمبر – 1971.
- فتحي أبو العينين: التفسير الاجتماعي للظاهرة الأدبية، التراث وإشكالية المنهج، مجلة عالم الفكر، عدد 2 . 1 الكويت، 1995.
- لوسيان جلودمان، علم اجتماع الادب الوضع ومشكلات المنهج مجلة فصول ، المجلد 2 . العدد2 . يناير1981 . ربيع اول1401.
- محمد حافظ دياب: *النقد الأدبي وعلم الاجتماع، مجلة فصول، المجلد 4، العدد 1، أكتوبر*، نوفمبر، ديسمبر، 1983.
- مصطفى الخشاب: الفلسفة وعلم الاجتماع، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني – يوليه – اغسطس – سبتمبر – 1971.
- حياة معاش: الثورة والاستقلال في الرواية العربية الأشعة السبعة لابن هدوقة "انموذجا"، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري . جامعة بسكرة. الجزائر، العدد 09 . 2013.

المذكرات:

- سعد عودة حسن عدوان: الشخصية في اعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية، رسالة ماجستير، اشراف: د نبيل خالد أبو علي، الجامعة الإسلامية . غزة . عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب . قسم اللغة العربية 1435 هـ . 2014 م.

فهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

. المبحث الأول: علم الاجتماع النشأة والتطور

1 – الجذور.....5 – 09

2 – النشأة والتطور.....10 – 21

المبحث الثاني: النقد الاجتماعي (المسار الفلسفي)

1 – الجذور.....22 – 26

2 – النشأة والتطور.....27– 42

الفصل الثاني: المجتمع في التجربة النقدية

المبحث الأول: المجتمع / نقد الشعر..... 43 – 59

أولا – الواقعية الإنتقادية

ثانيا – قضية المرأة

ثالثا – الواقعية الاشتراكية

المبحث الثاني: المجتمع / النقد المسرحي..... 60– 76

أولا – المسرحيات التي تناولت الثورات التحررية

ثانيا – المسرحيات المواكبة للتغير الاجتماعي

المبحث الثالث: المجتمع / النقد االروائي ....77 – 97

خاتمة.....98 – 100

قائمة المصادر والمراجع.....101 – 107

فهرس الموضوعات